الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية .

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

جامعة ابن خلدون – تيارت .

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية .

قسم العلوم الإنسانية .

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ وحضارة المغرب الأوسط الوسيط

موسومة بـــ:

الحياة السياسية و الاقتصادية لمدينة وارجلان

من القرن الثاني الى السادس الهجريين، السادس الى الثاني عشر ميلادي

(2 - 6 هـ/8 – 12م).□

إعداد الطالبان:

- بوراس العربي
- بن يحي نصيرة

- الأستاذ :شرف عبد الحق.....رئيسا
- الأستاذ:حاكمي الحبيب.....مشرفا
- الأستاذ:حاج عيسى الياس.....مناقشا

الموسم الجامعي

(1434-1435هـ/2014-2015م)

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و تقدير

الحمد لله رب العالمين الذي بنعمته تتم الصالحات،و الصلاة و السلام على المبعوث بالخير و البركات،نبينا محمد أكمل الناس خلقا و أغزرهم علما و اسماهم مثلا و أعلاهم همة،و على اله وصحبه السابقين بالخيرات،و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين،أما بعد فإننا نتوجه بالشكر لله تعالى على ما أولانا من عظيم نعمه،و كبير آلائه،فلله الحمد أولا و آخرا،فانه ليشرفنا بتوفيق من الله أن نقدم بجزيل الشكر و العرفان إلى الأستاذ حاكمي حبيب لقبوله الإشراف على هذه الأطروحة برغم مشاغله الكثيرة و الذي أسعدنا برقة تعامله،و نسال الله أن يديم عليه نعمة الصحة و العافية، كما يشرفنا أن نشكر الأستاذ سليمان بومعقل من ولاية ورقلة و الأستاذ عبد القادر عزام بولاية الوادي اللذان لم يبخلا علينا بتقديم النصح و الإرشاد لنا

والى كل أساتذة التاريخ الذين كانوا المصدر الأول لثراء علمنا و تنمية ثقافتنا و إلى جميع الطاقم العلمي و الإداري بجامعة ابن خلدون

نتقدم إلى كل هؤلاء بجزيل الشكر و فائق الاحترام.

اهداء

إلى من أفنت حياتها، و غمرتنا حبها و حنانها

إلى من تسهر لسهرنا و تفرح لفرحنا

إلى من سكنت جوفها تسعا و حجرها حولين

إلى أسمى شيء في الوجود، و أنبل مخلوق على وجه الأرض.

إلى كل صغيرة و معاني كبيرة اليكي أمي.

إلى من يكد و يتعب ليوفر لنا حياة كريمة و سعيدة

إلى الذي يوصينا بالإيمان و التقوى و العمل الصالح

و بفضله واصلنا مسيرة العلم و المعرفة إليك أبي.

إلى أخواتي

إلى كافة الأهل و الأحباب و الأقارب .

وخاصة محمد و فاوة و داود

.

إلى كل طلبة ماستر تاريخ المغرب الأوسط الوسيط دفعة 2015.

العربي

اهداء

إلى من أفنت حياتها،و غمرتنا بحبها و حنانها

إلى من تسهر لسهرنا و تفرح لفرحنا

إلى من سكنت جوفها تسعا و حجرها حولين

إلى أسمى شيء في الوجود،و أنبل مخلوق على وجه الأرض.

إلى كل صغيرة و معاني كبيرة اليكي أمي.

إلى من يكد و يتعب ليوفر لنا حياة كريمة و سعيدة

إلى الذي يوصينا بالإيمان و التقوى و العمل الصالح

و بفضله واصلنا مسيرة العلم و المعرفة إليك أبي.

إلى أخواتي فتيحة و خديجة

إلى كافة الأهل و الأحباب و الأقارب .

إلى كل حبيباتي و صديقاتي،سمية، نصيرة،خليدة و سعاد و صباح و ياسمين و ريم

فطيمة بوهدة و فطيمة جلفوزو هاجر.

إلى كل زملائي و زميلاتي خاصة بوسيف حسان و عبد النور عياد الذين لم يبخلا بتقديم يد المساعدة لنا .و

الى زميلي بوجلال محمد و بوراس العربي.

إلى كل طلبة ماستر تاريخ المغرب الأوسط الوسيط دفعة 2015.

نصيرة

مقدمة

شهدت صحراء المغرب الأوسط بروز العديد من الحواضر التي كان لها مركز مهم في الساحة السياسية و الاقتصادية و الفكرية، و تتضمن الدراسة إحدى مناطق التجمع الاباضي في المغرب الإسلامي التي رغم قسوة طبيعتها الصحراوية استطاعت أن تكون بمثابة العاصمة الوريثة للدولة الرستمية وهي حاضرة وارجلان، التي لعبت دورا مهما في تاريخ المذهب، إذ التفتوا إلى موقعها المتميز في صحراء بلاد المغرب بعيدا عن المراكز العمرانية المزدهرة في الشمال، وهذا علاوة على توسطها لمسالك التجارة بين مدن المغرب وبلاد السودان –مورد الذهب– مما وفر لسكانها الحماية الاقتصادية. وتنحصر فترة الدراسة حول مدينة وارجلان من (ق2-6هـ/8-12م)، حيث سنتطرق إلى دراسة الحاضرة أو المدينة من جانبين مختلفين الجانب السياسي والاقتصادي وجاء عنوان دراستنا كالأتي: "الحياة السياسية والاقتصادية لمدينة وارجلان من (ق2-6هـ/8-12م).

و كان اختيارنا لهذا الموضوع لدواعي مختلفة نذكر منها:

- الرغبة في البحث و الإطلاع على ما كانت عليه وارجلان من قوة اقتصادية و كيان سياسي قائم بذاته.
- محاولة الكشف عن تاريخ وارجلان خاصة منه السياسي.
- إهمال العديد من أبناء المنطقة لتاريخ وارجلان في حين نرى أنها تحظى باهتمام المستشرقين.
- فتح المجال للدراسات اللاحقة و محاولة توسيع دائرة البحث .

و لقد انطلقنا في هذا العمل بمجموعة من التساؤلات نرجو أن نوفق في الإجابة عليها في ثنايا المذكرة و هي:

- ما أصل تسمية وارجلان و مدلولاتها؟
- كيف كان الوضع السياسي لوارجلان آنذاك؟ وكيف كانت علاقتها مع الخارج؟

- باعتبارها نقطة وصل بين المغرب و بلاد السودان و معبر مهم للقوافل التجارية ،كيف كان حال التجارة فيها ؟وهل وجد فيها اهتمام بالرعي والزراعة ؟

ونتيجة لتلك الإشكالات تطلب الأمر جهدا علميا اعتمد على اختيار المنهج المناسب، وهو منهج تنوع بين المنهج التحليل والوصف، حيث اعتمدنا على وصف الجغرافيين للمدينة واحوالها وقمنا بتحليل بعض الحوادث التاريخية خاصة وأن اغلب مصادرنا اباضية، تتحامل في اغلب الأحيان على المخالفين من أتباع الفرق الأخرى المنشقة عنها والمخالفة لها.

وقد واجهتنا مجموعة من العراقيل يأتي على رأسها ندرة المادة التاريخية على الأخص في الفترة التي تسبق الفتح الإسلامي لبلاد المغرب وحتى الفترة الأولى من وصول الإسلام إليها، وقد اعتمدنا على المصادر الاباضية لارتباط أهلها بهذا المذهب، وأيضا لاحظنا إغفال العديد من الأحداث المهمة في تاريخ وارجلان، منها وصول الإسلام إليها ثم اعتناق أهلها المذهب الاباضي، ودورها حتى نهاية الدولة الرستمية، إذ كانت أول إشارة لها عند لجوء آخر أئمة الرستميين إليها في بداية القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، ولم تهتم تلك المصادر أيضا بالنظم السياسية والإدارية لوارجلان حتى بعد تلك الفترة إلا في شذرات بسيطة متفرقة غير واضحة، وربما يعود ذلك إلى أن تلك المصادر تتناول سيرة مشايخ الاباضية عامة، وليس تاريخ وارجلان إلا من خلال ما يفيد تلك المصادر، إلى جانب بعد عصر هؤلاء المؤلفين عن المرحلة الأولى من تاريخ المدينة، وبرغم ذلك فهي تعد من أهم ما أفاد الدراسة.

أما عن الدراسات السابقة حول الموضوع فقد سبقتنا مجموعة من المذكرات الجامعية على رأسها مذكرة قدمها عمار غرايسية عنوانها: "المدينة الدولة في المغرب الأوسط وارجلان نموذجا"، إضافة إلى احمد ذكار:"حاضرة وارجلان وعلاقتها التجارية بالسودان الغربي (1000 هـ -

1301هـ/1591م- 1883م)، ومذكرة الياس حاج عيسى: "مدينة وارجلان من (4-10هـ/10-16م) ووفقا لذلك اشتملت المذكرة على فصل تمهيد وفصلين وخاتمة وملاحق.

تطرقنا في الفصل التمهيدي حول (أصل التسمية، ودراسة جغرافية وتاريخية عامة وارجلان، بالإضافة إلى السكان والعمران).

أما بالنسبة للفصل الثاني فكان عنوانه (الحياة السياسية لمدينة وارجلان) وينقسم إلى أربعة مباحث انطلاقا من العمق التاريخي الذي يرجعه المؤرخون إلى ما قبل التاريخ، وعرجنا كذلك على مرحلة وجودها في الفترة الإسلامية من خلال فترات تعاقبت عليها عدة إمارات بداية بالرستمية، ثم الفاطمية و الحمادية والمرابطية والموحدية، كما تطرقنا للسياسة الداخلية والخارجية للمدينة من خلال إقامتها لهيكل تنظيمي خاص بها واهتمت الدراسة بعلاقاتها الخارجية مع الدول المجاورة لها.

أما الفصل الثالث فكان عنوانه (الحياة الاقتصادية لمدينة وارجلان)، وفيه عرض لأحوالها الاقتصادية وبخاصة التجارية الداخلية والخارجية، ومدى مساهمتها في تنشيط الحياة الاقتصادية كما أولينا اهتماما بأسواق المدينة بمختلف تعاملاتها، دون إغفال لقطاع الزراعة والرعي في المنطقة.

أما الخاتمة فقد رصدنا فيها مجمل النتائج التي توصلنا إليها من خلال البحث، وبعدها حاولنا إثراءه بمجموعة من الملاحق ذات صلة بالموضوع بالإضافة إلى خرائط لطرق القوافل العابرة للصحراء، وأنهيناه بقائمة بيبلوغرافيا للمذكرة متكونة من مصادر ومراجع ودوريات، التي تيسر لنا الوصول إليها من مختلف مكتبات الوطن، ومن أهم المصادر والمراجع التي استعنا بها نذكر

- **سير الأئمة و أخبارهم**: لأبي زكريا يحي بن أبي بكر الورجلاني المتوفى سنة(471هـ/1078م) ويذكر انه قضى بعض الوقت في طرابلس في بداية حياته، قبل استقراره بأريغ، كما كان كثير التنقل بينهما وبين وارجلان، وهو من أشهر علماء الاباضية وهو من قبيلة بني يهراسن البربرية الاباضية والتي يسكن جزء منها طرابلس مع قبيلة زواغة بينما كان جزء آخر يسكن في مدينة جربه.

وقد كانت استفادتنا منه فيما يتعلق بتاريخ الدولة الرستمية، والفتن والحروب التي شهدتها، وأخبار الفرق المتفرعة عن الفرق الاباضية، وكذلك تاريخ التجمعات الاباضية.

- **سير الوسياني:** وهو من تأليف أبي الربيع بن عبد السلام بن حسان بن عبد الله الوسياني كان على قيد الحياة سنة 557هـ/1161م، وقد قضى شبابه في أجلو بأريغ ووارجلان طالبا للعلم، واصله من قبيلة بني وسيان أو (واسين)، وهم قبيلة بربرية اباضية تشكل بطنا من بطون زناته التي كانت تسكن في قسطيلة، وقد اشتهر كمؤرخ للمنطقة حيث ذكر عنه كل من الدرجيني والشماخي انه كان يحفظ السير والآثار الاباضية على ظهر قلب.

أما الكتاب فقد اتبع صاحبه في تأليفه أسلوبا جديدا ومختلفا عن أبي زكريا تمثل في ذكر اسم التجمع الاباضي، ثم ذكر أسماء ابرز المشائخ به، وقد انفرد بعدة روايات عن بقية كتب التراجم والسير. وأفادنا هذا المصدر في الترجمة لعديد الشخصيات الاباضية.

- **طبقات المشائخ بالمغرب:** من تأليف أبي العباس احمد بن سعيد بن سليمان بن علي بن يخلف الدرجيني (ت 670هـ/1271م) فقيه ومؤرخ وشاعر أصله من تمجار وهي قرية في جبل نفوسه، وهو من عائلة عريقة انتقلت إلى اريغ ووارجلان ثم إلى مدينة نفطة في بلاد الجريد في النصف الثاني من القرن 5هـ/11م، وقد أقام بعدة تجمعات اباضية، حيث سافر سنة 616هـ/1219م إلى وارجلان وقضى بها سنتين ثم عاد إلى توزر ببلاد الجريد فأقام بها حتى سنة 633هـ/1235م لينتقل إلى جزيرة جربة، ثم عاد إلى موطنه الأصلي ببلاد درجين التي توفي بها سنة670هـ/1271م.

وكتابه مؤلف من جزأين، اعتمدنا عليه بجزئيه حيث ساعدنا الجزء الاول في التعرف على نظام العزابة اما عن جزئه الثاني فقد ساعدنا في استخلاص بعض الجوانب السياسية والاقتصادية من خلال سرده لطبقات المشائخ من خلال تعاملاتهم اليومية.

- **سير المشائخ:** وهو لأبي العباس احمد بن سعيد أبي عثمان بن عبد الواحد بدر الدين الشماخي المتوفى سنة 928هـ/1522م، أصله من بلدة يفرن من جبال نفوسه، وهو مؤرخ و فقيه ومتكلم، والذي أفادنا كثير في التعرف على عدة شخصيات اباضية كما ساعدنا أيضا في تعريف بعدة أماكن .

بالإضافة إلى مصادر أخرى غير اباضية نذكر منها:

- **أخبار الأئمة الرستميين:** لابن الصغير المالكي كان حيا في القرن الثالث هجري ولا نعرف شيئا عن حياته لان كتب الطبقات والتراجم لم تتعرض له بذكر، ومع ذلك يمكننا اعتباره من ابرز العلماء في تاهرت إذ كان يقطن بحي الرهادنة بأعالي تاهرت الذي اتخذ من مسجده مقرا لإلقاء دروسه على العامة و المناظرة مع مختلف أتباع الفرق، أما الكتاب فيعتبر أهم مصدر أرخ للدولة الرستمية، ويعتبر ابن الصغير من المؤرخين البارزين الذين لم ينالوا مكانتهم الحقيقة، إذ لم يكن مجرد ناقل للأحداث، وإنما اتصف بنقده لبعض الروايات على غير عادة من عاصره من مؤرخي المنطقة.
- **الكامل في التاريخ:**لابن الأثير ت 630هـ/1174م، والملاحظ انه نقل عن الرقيق القيرواني فيما تعلق بتاريخ الاباضية، وثوراتهم في القرن الثاني الهجري.
- **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر:** لعبد الرحمن بن خلدون متوفى 808هـ/1405م وقد كانت استفادتنا من الكتاب محدودة فيما يتعلق بالتاريخ السياسي لوا رجلان في القرنين الثاني والثالث للهجرة، حيث أفادنا في التعريف بأهم قبائل المغرب الإسلامي وبطونها.
- **كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، المعروف بالمسالك والممالك:** لأبي عبيد الله بن عبد العزيز البكري ت(487هـ/1094م) لذي يعد من المصادر الجغرافية العامة، الذي أفادنا في معرفة الطرق والأسواق التجارية والسلع الصادرة والواردة كما وصف لنا المدن المغربية ومدن السودان الغربي.

أما بالنسبة للمراجع التي استعنا بها نذكر كتاب الاباضية في المغرب الأوسط لمسعود مزهودي الذي تضمن معلومات وفيرة عن تاريخ وارجلان وسدراتة ما ساعدنا على فهم الموضوع بالإضافة إلى كتاب غصن ألبان في تاريخ وارجلان لإبراهيم أعزام الذي قدم لنا توضيحا شاملا حول الأوضاع السياسية والاقتصادية لمدينة وارجلان، دون أن ننسى كتاب معالم الحضارة الإسلامية لوا رجلان لعمر سليمان بوعصبانة الذي يكتسي أهمية كبيرة لكونه قدم لنا دراسة شاملة ودقيقة حول المنطقة.

الفصل تمهيدي: لمحة عامة عن مدينة وارجلان

- اصل التسمية
- الدراسة الطبيعية
- الموقع الجغرافي
- المارد المائية
- المناخ
- وارجلان عبر التاريخ
- السكان
- العمران

1. أصل التسمية:

تجمع المصادر والمراجـــع علـــى أن منطقـــة وارجـــلان لم يـــرد اسمهـــا صـــراحة إلا في منتصف القرن الثاني للهجرة الثامن للميلاد على لسان مـــن أرخـــو للدولـــة الرســـتمية ومـــا جاورها من حواضر أما ما قبل ذلك التاريخ القديم إلى غايـــة الفتوحـــات الإســـلامية فانـــه لم يرد لها ذكر بأي شكل من الأشكال وكل ما ذكر عنـــها مجـــرد تلميحـــات للشـــعوب الـــتي قطنت حولها[1].

ويذكرها ابن خلدون في كتابه العبر "واركلا" وارجـــع أصـــل تســـميتها بهـــذا الاســـم لبني واركلا احد بطون زناته[2]، وأشار إلى أنهم الذين أسسوها في قولـــه" بنـــو وركـــلا هـــؤلاء احد بطون زناته كانت مواطنهم قبلة الزاب[3]، و اختطوا المصـــر المعـــروف بهـــم لهـــذا العهـــد على ثماني مراحل من بسكرة.

كما أوردت العديد من المراجع الحديثة التي أرجعت أصل الكلمـــة إلى مـــا تقـــول هـــذه الأسطورة أن امرأة تسمى ورقلة سكنت تلـــك المنطقـــة فغرســـت أشـــجار النخيـــل، فبنـــت كوخا، والتف الناس من حولها وبنو بيوتا بجوارها حتى تكونت المدينة التي حملت اسمها[4].

وهناك رواية أخرى تقول إن أسدا كان جاثما أمـــام المـــورد المـــائي الوحيـــد الموجـــود بالمنطقة وكان يلتهم كل من اقترب من هذا المورد، فـــاتفق الجميـــع علـــى محاربتـــه وتمكنـــوا

---

[1] – محمد البشير شنيتي : التوسع الروماني نحو الجنوب الجزائري, مجلة الأصالة العدد 14، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر 1977.ص ،ص 12-19.

[2] – **زناته:** قبيلة بربرية من البتر و كانت اقوى القبائل في المغرب و أكثرها عددا كان جلهم من المغرب الأوسط و قد نسب إليهم فسمي مغرب زناته و ذلك لكثرة عددهم فيه.و كانت لزناته أفخاذ و عشائر في المغرب الأدنى بطرابلس و في المغرب الأقصى .ينظر:محمد علي دبوز,تاريخ المغرب الكبير.مؤسسة تاوالت الثقافية،،2010ص 253.

[3] –**الزاب:** إقليم يضم خمس مدن .بسكرة، و البرج و نفطة و تلكة و دوتس ، ينظر : حسن الوزان ، وصف إفريقيا، ج1 تر محمد حجي و محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان ط2، 1993 ، ص 44.

[4] .largeau (v) ; le pays de rirha ouargla.paris.1879.pp.156.157.

فعلا من القضاء عليه ومنذ ذلك الحين أصبحت المدينـــة محـــررة مـــن خطـــر الأســـد فقيـــل: باللغة المحلية البربرية "ألوير-أنجلاء". والوير باللغة المحلية بمعنى الأسد، وانجـــلاء باللغـــة العربيـــة معناه زال أو غاب أو ذهب فسميت منذ ذلك الحين المدينـــة "بـــألوير أنجـــلاء" إلى أن تطـــور نطقها عبر الزمن فأصبحت وارجلان. ويفهم من هذه الأســـطورة إن هـــذا الاســـم لم يطلـــق عليها إلا بعد انتشار الإسلام واللغة العربية لكونهم اســـتعملوا كلمـــة انجـــلاء و هـــي كلمـــة عربية قحة[1].

أما الاختلاف الذي أوردته المصادر والمراجع في نطـــق الكلمـــة والـــذي كـــان بأسمـــاء متعددة عبر أزمنة مختلفة "واركـــلان"، "والـــرجلان"، "وارجلـــن"، "ورجلـــن" "ورجـــلان"، "وارقلان"، "ورقلة أو هرقلة"، ضبطها ياقوت الحموي وَرجلان وقـــال عنـــها: "كـــورة بـــين افريقية وبلاد الجريد ضاربة في البر كثيرة النخيل والخيرات"[2].

أما الإدريسي رسم ا الكلمة وارقلان وقال:" إن فيهـــا قبائـــل مياســـير وتجـــار أغنيـــاء يتجولون في بلاد السودان إلى بلاد غانة وبلاد ونقارة فيخرجـــون منـــها التـــبر ويضـــربونه في بلادهم باسم بلدهم وهم وهبية[3] إباضية "[4]، وذكرها ابن خلدون.

كما أشرنا سابقا "بواركلا" بالكاف آخرهـــا لام وبـــدون نـــون وشـــكلها بالحركـــات مكسورة الراء.

---

[1]- احمد ذكار: حاضرو وارجلان و علاقتها التجارية بالسودان الغربي، (1000ه/1991م)إلى (1301ه/1883م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإفريقي الحديث و المعاصر، غير منشورة، الجامعة الإفريقية العقيد احمد دراية، ادرار، 2010، ص8.

[2]- ياقوت الحموي: معجم البلدان, ج5، دار صادر، بيروت، 1977، ص 426.

[3]- **وهبية:** تيار أساسي في الحركة الاباضية في شمالي إفريقيا سميت بذلك على اسم عبد الوهاب الإمام الرستمي الثاني 585م، أما الرأي الثاني يرجح أصل التسمية على اسم عبد الله بن وهب الراسبي 660هـــ، ينظر: عمرو خليفة النامي، دراسات عن الاباضية، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،لبنان .2007، ص، ص 197-198.

[4]- ابو عبد الله الشريف الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،تح : محمد حاج صادوق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص 222.

أما حسن الوزان يقول:" وركلة مدينة أزليـــة بناهـــا النوميـــديون في صـــحراء نوميـــديا ...سكانها أغنياء جدا منهم عدد كبير من التجار الأجانب الغربـــاء عـــن البلـــد لاســـيما مـــن قسنطينة وتونس يحملون إلى وركلة منتجات بلاد البربـــر" ووصـــف أهـــل وركـــلان بـــأنهم كرماء ظرفاء يستقبلون الغرباء استقبالا حسنا[1].

أما الناصري في كتابه الاستقصـــاء فقـــد أورد ذكرهـــا "واركـــلان" حـــيث قـــال: "ملكوا قصور الصحراء التي اختطها الزناتة بالقفر مثل: قصـــور الســـوس غربـــا ثم تـــوات ثم بودة ثم تمنطيط ثم واركلان"[2]، ونجد العياشي الذي ذكـــر المنطقـــة في حديثـــه عـــن رحلتـــه فقال: "...تراءى لنا نخل واركلا كأنه سحابة و طفاء".

وفي قوله: "..و دخلنا واركلا قبل غروب الشمس و نزلنا بـــاب المدينـــة المســـمى بـــاب السلطان"[3].

وعليه نخرج بنتيجة أن ابن خلدون انفرد بإرجـــاع أصـــل التســـمية إلى بـــني واركـــلا فجل الباحثين القدماء والمعاصرين لم يوردوا مدلولا لاســـم ورجـــلان ونـــرى أن الاخـــتلاف في نطقها يرجع إلى تعدد اللغات في إشارة إلى البربـــر وبخاصـــة صـــنهاجة[4] وزناتـــة ينطقـــون الجيم بنطق قريب من الكاف ولان هذا الحرف غير موجود في العربية كتبوه "جيم".

أما بالنسبة للمراجع الحديثـــة، فقـــد ذكـــرت اسمهـــا في صـــورتين فقـــط، وارجـــلان وورقلة، فيذكرها إبراهيم أعزام في كتابه باسم وارجلان حيث قـــال: "أن لهـــا أسمـــاء عديـــدة

[1]- حسن الوزان: حسن الوزان.وصف إفريقيا.ج2,تر ، محمد حجي و محمد الأخضر.دار الغرب الإسلامي.بيروت لبنان ط2.، ص136.

[2]- أبو العباس الناصري: الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى، دار الكتاب، المغرب، 1954، ص159.

[3] -عبد الله محمد العياشي: الرحلة العياشية(1661-1669) تح: سعيد الفضلي و سليمان القريشي، مج 1، دار السريدي للنشر، أبوا ظبي، 2006 ،ص114.

[4]- **صنهاجة:** و هم من البربر البرانس، لهم عدة بطون حيث بلغوا ثلث البربر و ينتهون إلى سبعين بطنا.ينظر:ابن خلدون:العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في ايام العرب و العجم و البربرو من عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، دار الكتاب اللبنابي ، يبيروت ، لبنان ، 1961، ص323 .

ولكن الأصح هو اسم وارجلان[1]"، و قد تعرض لها احمد توفيق المدني، حيث قال: "ورقلة اسمها الأصلي بني وارجلان قصر من أبدع القصور البربرية في الجنوب الجزائر.

وعلى ما يبدوا وارجلان هي التسمية التي كانت الأكثر تداولا بين عدد من المؤرخين الاباضيين وعلى وجه التحديد من أمثال أبي زكريا والوسياني والشماخي وهي كذلك التسمية التي رأينا اعتمادها في البحث لاعتقادنا أنها الأقرب إلى ما قد يكون متصلا بواقع ما كانت عليه خلال اغلب المراحل التاريخية ولكون من كان متداولا بينهم بهذا المسمى كانوا الأقرب إلى المنطقة بالسكنى أو المخالطة لأهلها.

2. الدراسة الطبيعية:

2.1. الموقع الجغرافي:

لا تطلعنا المصادر أن كانت وارجلان مدينة أم إقليم ولكننا نرجح أنها مدينة تحيط بها قرى وقصور، أما عن موقعها الجغرافي فيقول البكري: "فانك تسير في الصحراء خمسين يوما إلى وارجلان ... وبين وارجلان وقلعة أبي الطويل مسيرة ثلاثة عشرة يوما"[2] ويقول العياشي" ... هي مدينة لها سبعة سبع أبواب، وهي في وسط خط من النخل ومساحة المدينة بالتخمين نحو من نصف فرسخ[3]، في مثله محيط بها خندق مملوء ماء من كل جهاتها ليصل احد إلى سورها إلا من ناحية الأبواب".[4]

---

[1] – إبراهيم أعزام: غصن البان في تاريخ وارجلان، تح: إبراهيم بحاز و سليمان بومعقل، ط1، العالمية للنشر، غرداية الجزائر،2013،ص56.

[2] – أبو عبيدة البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب،دار الكتاب الإسلامي،القاهرة مصر،(د ت)،ص182.

[3] – **الفرسخ**: الفرجة و الطويل من الزمان ليلا و نهارا . مقياس قديم من مقاييس الطول يقدر ب 4 كلم.ايظر: المعجم الوسيط ,مكتبة الشروق الدولية.ط 4 ،سنة2004،ص681.

[4] – العياشي:المصدر السابق ،ص 155.

ويقول ابن سعيد المغربي:" واركلان حيث الطول عشـــرون درجـــة ونصـــف والعـــرض أربع وعشرون درجة ونصف وعشر دقائق"[1].

أما في المراجع الجغرافية الحديثة تذكر أنها تقع جنـــوب المـــنخفض الصـــحراوي الكـــبير على خطي عرض 31° و32° شمـــال خـــط الاســـتواء وخطـــي عـــرض 5,15 و6,30° شرق خط غرينيتش ويحدها العرق الشرقي الكبير من ناحيـــة الشـــرق و تحـــيط بهـــا هضـــاب شبكة ميزاب وحمادة تادميت من جهة الغرب والجنوب[2]. ورســـم حـــدودها احـــد البـــاحثين فجعل ما يحدها شرقا بلاد الزاب وغربا بلاد ميزاب، التي هي منطقـــة صـــحراوية تبعـــد عـــن وارجلان مائة وسبعة عشرا ميلا اتجاه الغرب وجنوبـــا مدينـــة ســـدراته[3]، أمـــا شمـــالا فلـــم يستطع تحديده نظرا لعدم وجود تجمعات سكانية تابعة لوارجلان[4].

في حين يرى باحث آخر أن حدود المنطقة هي أساسا حـــدود بـــلاد المغـــرب الأوســـط الجنوبية وهي بلا شك قد مثلت الجزء الفاصل الواصل بين شمـــال إفريقيـــا وإفريقيـــا الوســـطى والغربية والشرقية، وهو ما جعل المدينة ملتقـــى للعديـــد مـــن الخطـــوط الفكريـــة والثقافيـــة والاجتماعية وخاصة التجارية[5]، ويحددها احد البـــاحثين أيضـــا أنهـــا تقـــع علـــى الحـــواف الغربية للعرق الشرقي الكبير يمر بها وادي مية الـــذي يرجـــع في نشـــأته للـــزمن الجيولـــوجي الرابع، بينما تقع واحة وارجلان في مـــنخفض مقفـــل غربـــا بانحـــدارات شـــديدة للهضـــبة

---

[1] – ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، تح و تع إسماعيل العربي،منشورات المكتب التجاري، بيروت،لبنان،ط1 ،1970، ص 21.

[2] – الياس حاج عيسى: مدينة وارجلان دراسة في النشاط الاقتصادي و الحياة الفكرية, رسالة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الإسلامي، غير منشورة، جامعة الجزائر، 2009، ص 8.

[3] – **سدراتة:** هي إحدى المدن التاريخية في وادي مائة، تبعد عن وارجلان بأربعة عشرة كيلومتر من ناحية الجنوب و قد تضاربت الآراء حول تأسيسها فهناك من يرجعها إلى الأربعينيات من القرن الأول للهجرة السابع للميلاد و هناك من يرجعها إلى نهاية القرن الثالث للهجرة بداية العاشر للميلاد، أي بعد سقوط الدولة الرستمية على يد الشيعة الفاطميين سنة 296ه-908م، وهجرة من نحى إلى وارجلان و أسسوا مدينة سدراتة التي استبحر عمرانها و أصبحت تتكون من مائة و خمس و عشرين قرية، ينظر: هامش احمد ذكار:المرجع السابق ، ص 38.

[4] – مسعود مزهودي: الاباضية في المغرب الأوسط, نشر جمعية التراث, ا المطبعة العربية القرارة، الجزائر ،1996 ، ص27.

[5] – عمار غرايسية : من الأدوار الحضارية للمدن الصحراوية،وارجلان نموذجا،مجلة الواحات للبحوث و الدراسات،العدد 15، سنة 2011، ص 413.

الصخرية بحوافها المحطمة ومجاريي السيول المتقطعة الـــتي تمتـــد إلى متليلـــي وغردايـــة حيـــث تتوزع بها سلسلة من الكور المتباعدة ويشـــتهر مركـــز المنطقـــة(وارجلان) بواحاتهـــا وكثـــرة نخيلها[1].

ويطالعنا صاحب معجم البلدان بما اعتبر أنه "كورة بين إفريقيـــة وبـــلاد الجريـــد ضـــاربة في البر[2]"، ويبدو انه مع عدم الدقة في التحديد لكنه يمكـــن أن نفهـــم منـــه أن مقصـــده قـــد يعني احتمال وقوع وارجلان على ذات الامتداد المقابل لما بين افريقية وبلاد الجريد.

ولعل الخط الذي رسمه الزهري أواسط القرن(6هـــ و12م)، يعطـــي صـــورة عـــن الحد الشمالي لبلاد السودان، مما هو موالي لبلاد المغرب حيث يمتـــد هـــذا الخـــط مـــن مدينـــة نول في الجهات الغربية إلى مدينة وارجلان في الجهة الشرقية[3].

وبمحاولة الجمع بين نصين لابن خلدون قد نرسم الحد الغـــربي للمنطقـــة حيـــث أشـــار في قوله: "وفي قبلة تاهرت[4]، القصور أيضا متتاليـــة ... اقـــرب مـــا إليهـــا جبـــل راشـــد"[5]، وبربط هذا الجبل في النص التالي إذ يقـــول: "مـــا بـــين الـــزاب وجبـــل راشـــد ... وبينـــهم

---

[1] -J.Lethielleux, ouaregla cité saharienne, librairie orientaliste Paul geuthner, paris, 1984, pp 1-3.

[2] – ياقوت الحموي: المصدر السابق، ص371.

[3] – مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، تح، زغلول عبد الحميد ط2، دار النشر المغربية الدار البيضاء ، 1986 ، ص 224

[4] – تاهرت: :مدينة مشهورة بالمغرب الأوسط على طريق مسيلة من تلمسان و كانت تيهرت في ماسلف مدينتان إحداهما قديمة و أخرى حديثة و يعد عبد الرحمن ابن رستم المؤسس الحقيقي لها ، ينظر: الروض المعطار في خبر الأقطار، لمحمد بن عبد المنعم الحميري تح:إحسان عباس ص126.
تغنى شعراء تيهرت بشدة بردها وأمطارها في قصائدهم فمن ذلك ما ذكره الشاعر التيهرتي أبو عبد الرحمن بكر بن حماد في قصيدة له واصفا شدة البرد في تيهرت فيقول :

مَا أَحشَنَ البَردَ وَرَيعَانـــــَه وَأَطـــــرَافَ الشَّمـــسَ بتَاهَـــرت
تَبدُو من الغَيم إذَا مَا بَدَت كـــأَنـــهَا تـــنَـــتشـــر مـــــن تـــــَحـــــَت
فَنَحنُ في بَحر بلاَ لُجـــــّة تَجري بنَا الريحُ عَلى السَمَت
نَفرَحُ بالشَّمس إذاَ مَا بَدَت كَفرَحـــــَة الذَّمـــــــي بـــالسَـــبـــَت

(ينظر : الدر جيبي احمد بن سعيد أبو العباس: طبقات المشايخ بالمغرب، تح، إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، الجزائر،ص43)

[5] – ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص 58.

الدوسن أقصى عمل الزاب مرحلتان"، بقي أمامنا حـــدود وارجـــلان الجنوبيـــة والمتمثلـــة بمـــا ذكره ابن خلدون من قصور توات[1] وتمنطيط وركان وتسابيت وتيكورارين[2].

2.2. الموارد المائية والمناخ:

أ. الموارد المائية:

يعود التكوين الجيولوجي للمنطقة إلى الزمن الأركـــي، الـــذي ســـبق الحيـــاة الحيوانيـــة عندما كانت ملتحمة وبعدما حدث تزحزح للقارات في الـــزمن الجيولـــوجي الثـــاني، ظهـــرت الصخور الجيرية والرملية والتي تمتد من شمال شرق الصحراء إلى أقصـــى غربهـــا وقـــد تكونـــت تضاريس المنطقة ما بين الزمن الجيولوجي الثاني والرابع[3].

فكانت وارجلان وما جاورها منطقة جاذبـــة للســـكان في زمـــن الماضـــي و لم تعـــرف المنطقة الفاصل الصحراوي، فكانت عبارة عن غابات متلاصقة الأشـــجار تتـــوفر علـــى انهـــار عديدة منها نهر أغرار الذي يرفده وادي مية ووادي النســـاء ووادي ميـــزاب. وهـــذه الأوديـــة لا تزال إلى حد الآن تسيل من حين إلى آخر أما نهر مية فانـــه يعـــد مـــن الأوديـــة الميتـــة و لم يتبق منه إلا مجراه[4].

وقد امتازت وارجلان وما جاورها بخصوبة التربة ووفرة الميـــاه، وهـــو الســـبب الـــذي جعلها عامرة إبان الفتح الإسلامي، وبعده وهذا بفضل العيون الـــتي بلغـــت حـــوالي إحـــدى

---

[1] **توات**: اصل التسمية يرجع لعهد الفتح الاسلامي للمنطقة حيث فتح عقبة بن نافع المغرب و بعد وصوله الى توات سنة 62هـ/681م سال اذا ما كانت المنطقة تواتي لنفي العصاة فاجبوه بانها تواتي فانطلق اللسان بذلك، ينظر:سالمي زينب : الحركة العلمية في اقليم توات خلال القرون 08-10 هجرية ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الاسلامي ، غير منشورة ،جامعة بلقايد ابي بكر ، تلمسان ، الجزائر ،2012، ص 12

[2] – ابن خلدون : المصدر نفسه :ج 6 ،ص 78.

[3] – عبد القادر علي حليمي: جغرافية الجزائر (دراسة طبيعية، بشرية، اقتصادية)، مطبعة الإنشاء، دمشق، سوريا.1986.

[4] – سليمان بوعصبانة: معالم الحضارة الإسلامية بوارجلان, (من سقوط الدولة الرستمية إلى خراب سدراتة)، دار نزهة الألباب، غرداية، ص، ص 38-39.

وخمسين وألف عين ومنها عين الصفا التي تأتي مياهها من سـدراتة مـرورا بـورجلان وعـين القبائل في ناحية يفرن[1]، وعين الحواس بناحية نفوسة[2].

ولقد ذكر ابن خلدون كيفية استنباط هذه المياه الجارية فـقال عنـها:

"إنها غريبة لا توجد في تلول بلاد المغرب وذلك أن البئر تحفـر عميقـة بعيـدة المهـوى وتطوى جوانبها إلى أن يوصل بالحفر الحجـارة صـلدة فتحـت بالمعـاول والفـؤوس إلى أن يرق جرمها وثم تصعد الفعلة ويقذفون عليها زبرة مـن الحديـد تكسـر طبقهـا علـى المـاء فينبعث صاعدا فيفعم البئر ثم يجري على وجه الأرض واديا"[3].

ب.**المناخ:**

أما بالنسبة لمناخ المنطقة فهي واقعة في الصحراء مما يـدل أن لهـا مناخـا قاريـا ومن خصائصه الحـرارة والجفـاف صـيفا، والجفـاف والـبرودة شـتاءا. فالمنطقـة صحراوية ذات ضغط مرتفع مما يجعلها عرضة للرياح التجاريـة[4]، الـتي تـزداد حـرارة كلما اقتربت من سطح الأرض، إضافة إلى أنواع أخـرى سـاخنة رطبـة تهـب مـن الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي في فصل الصيف وريـاح بـاردة تهـب بـين شـهر فيفري وماي[5].

---

[1] – بوعصبانة:المرجع السابق، ص 40.

[2] – **نفوسة** : إحدى القبائل الكبرى المستوطنة في الجبل من القدم و عرفها ياقوت الحموي في معجمه فقال عنها " نفوسة بالفتح ثم الضم و السكون و سين مهملة جبال في المغرب بعد افريقية عالية نحو ثلاثة أميال في اقل من ذلك

و فيها منبران في مدينتي إحداهما سروس في وسط الجبل و بها خبز الشعير ألذ من كل الطعام و الأخرى يقال لها جادو من ناحية نفزاوة" ينظر : هامش محمد البغطوري,سير مشايخ نفوسة . ج 1,تح توفيق عياد الشقروني، مؤسسة تاوالت الثقافية,2009. ص 23.

[3] – ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص 119.

[4] – **الرياح التجارية**،tardes ، تتصف بعدم التغير من وقت لآخر، لهذا سميت بالتجاريات فهي ثابتة في سرعتها، تبلغ سرعتها عادة ما بين 16، 24 كيلومتر في الساعة.ينظر: يوسف عبد المجيد فايد، جغرافية المناخ و النبات، دار النهضة العربية، ص55.

[5] – عادة ما تكون هذه الرياح قوية جدا تزداد سرعتها أحيانا عن 100كلم/سا.

أما الحارة فتسمى محليا بالشـــهيلي وهـــي تهـــب مـــن الجنـــوب إلى الشـــمال في أواخر الربيع وفصل الصيف وهذا استثناء بحيـــث تهـــب مـــن الشـــمال إلى الجنـــوب في الخريف والشتاء وجزء من الربيع، وهي بـــاردة شـــتاء شـــديدة الحـــرارة صـــيفا مـــع تفاوت كبير في الدرجات بين الليل والنهار وبـــين شهر وآخر وفصل وآخر[1].

3. وارجلان عبر التاريخ:

من خلال الخوض العميق في الدراسات التاريخية نجـــد تضـــاربا في أراء البـــاحثين حـــول تأسيس مدينة وارجلان، فهناك من يرجعها إلى الفتـــرة القديمـــة، في حـــين يرجعهـــا الـــبعض الآخر إلى الفترة الإسلامية.

أقدم النصوص التاريخية التي وردت عند حســـن الـــوزان وابـــن خلـــدون ترجـــع فتـــرة تأسيس المدينة إلى الفترة النوميدية، أما بعض الباحثين المعاصـــرين يرجعـــون فتـــرة تأسيســـها إلى الفترة الرومانية إذ يذكر احـــد البـــاحثين، أسســـها الأفـــواج البربريـــة الـــتي حلـــت في الصحراء و لم تستطع العودة لكون الجهات الشمالية محاصرة مـــن طـــرف الجيـــوش الرومانيـــة والتي سكنت أولا منطقة الزاب وما لبث أن عمت كـــل الوديـــان والمنخفضـــات الـــتي تقـــع في الغرب والجنوب الغربي من الزيبان من وادي ريغ[2]، إلى غايـــة حاســـي ريـــرة الـــذي يقـــع على بعد ثلاثين مرحلة جنوب غرب وارجلان[3].

أما الرأي الثاني فيرجعها إلى الفترة الإســـلامية، حـــين شـــن العـــرب الفـــاتحون ضـــد السكان الأصليين ونقصد بذلك البربر حروبـــا أدت إلى نـــزوح البربـــر إلى داخـــل المنـــاطق الصحراوية، وكانت من قبائل البربر النازحة إلى وارجلان، هي قبيلة بـــني واركـــلا مـــن بربـــر

[1] – احمد ذكار: المرجع السابق ،ص.14

1– ترجع تسمية ريغ ومعناها بالبربرية السبخة فيكون المعنى وادي السبخة و قد ورد هذا الشرح عند احد الطلبة البربر كان يدرس بالإسكندرية عند الشيخ السلفي الذي سأله عن معنى وادي ريغ سنة 520هـــ، ينظر:السلفي: تراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر للسلفي، تح : احسان عباس ، ط1، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1963، ص63

[3] – مسعود مزهودي: المرجع السابق ،ص 30.

زناتة التي حملت المدينة اسمهم، لتصبح بلدة كبيرة يحيط بها صور فيه عـــدة أبـــواب ويحكمهـــا سلطان ولغة السكان فيها البربرية[1].

وعدت منذ ذلك التاريخ المبكر محطة هامة مـــن محطـــات القوافـــل التجاريـــة وظلـــت على هذه الصورة حتى دخول الإسلام إليها في القرن الأول للهجرة.

وفي منتصف القرن الثاني للهجرة الثامن للميلاد إبان قيـــام دويـــلات إســـلامية مســـتقلة في بلاد المغرب، كانت وارجلان تمثل الحدود الجنوبية للدولة الرســـتمية وبعـــد ســـقوط هـــذه الأخيرة على يد الفاطميين أو العبيديين[2]، توجه يعقوب بن افلـــح مـــع مجموعـــة غفـــيرة مـــن أهله وأتباعه صوب مدينة وارجلان وسدراتة.

ومن هنا بدأ عهد جديد داخل وارجلان باندماج اباضـــية الدولـــة الرســـتمية ضـــمن فئات مجتمع وارجلان، فسكنوا بجوارهم وشيدوا منازلهم وأقاموا مساجدهم بهـــا حـــتى إنّهـــم تكلموا اللغة البربرية ولم يمنعهم حرصهم الشديد على مذهبـــهم، مـــن الانـــدماج في الحيـــاة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية للمدينة، ومـــن هنـــا نخـــرج بنتيجـــة أن مدينـــة وارجلان مدينة عريقة ذاع صيتها بدخول الإسلام إليهـــا وهـــذا مـــا دلـــت عليـــه المصـــادر والمراجع التي كتبت تاريخ هذه المدينة.

السكان:

إذا تحدثنا عن النسيج العمـــراني لأي دولـــة أو مدينـــة علينـــا أولا معرفـــة أهـــم العناصر المكونة لمجتمعها، إذ تمثل البنية التحتية التي تبنى عليها الدولـــة أو المدينـــة، ومـــن ذلك عرف المجتمع المغربي امتزجا بين المسلمين وغيرهم لاسيما في العصر الوسيط.

[1]- أبو القاسم سعد الله: أبحاث و ا راء في تاريخ الجزائر، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت،لبنان، 1985، ص 256.

[2]- نسبة إلى أبي عبد الله الحسين ابن احمد بن محمد بن زكرياء المعروف بالشيعي، القائم بدعوة عبيد الله المهدي جد ملوك مصر،ينظر:ابن خلكان، وفيات الأعيان و أنباء أهل الزمان،تح،إحسان عباس ، مج2،دار الثقافة،بيروت، (دس ط) ص192.

فيذكر احد الباحثين أن سكان وارجلان الأصليون هم إثيوبيون وقرمانيون كانوا يسكنون وسط القارة الإفريقية، أما الوجود البربري فيها فيرجع إلى الغزو الروماني[1]، حيث تذكر احد المصادر أن بعد تلك الحروب الدامية وقع صلح بين الرومان والبربر على أن تعود المدن والبلاد الساحلية للروم أما الجبال والصحاري وأطراف البلاد للبربر[2]، وأشهرها التي سكنت وارجلان، قبيلة زناتة بما فيها بنو واركلا وبنو يفرن، وبنو مغراوة، وبنو زنداك، وبنو ورماز، وكذلك قبيلة سدراتة وقبيلة تناوتة[3].

هذا بالنسبة إلى البربر أما بالنسبة إلى العنصر العربي يعود تواجدهم إلى بداية عهد الفتوحات الإسلامية على يد عقبة بن نافع الفهري، بينما يرى احد الباحثين انه لم يكن أي تواجد للعرب في منطقة وارجلان ولو في الصدر المبكر للفتح الإسلامي، ولذا فالاحتمال قوي أن بربر المنطقة هم الذين ادخلوا الإسلام إلى وارجلان و أن العرب لم يستوطنوا المغرب إلا في أواسط المائة الخامسة للهجرة، كما وضح ابن خلدون في قوله: "بان العرب لم يكن لهم المغرب في الأيام السابقة وطن وإنما انتقل إليه في أواسط المائة الخامسة أفاريق بني هلال وبني سليم اختلطوا في الدول هنالك"[4]، وهو الأمر الذي أكده أعزام أنه من سنة (450-624هـ/1039-1226م) اختطت البلاد ودخل العرب الوطن[5].

[1] – مزهودي: المرجع السابق ،ص29.

[2] – ومن بين هذه القبائل البربرية ، كتامة و لواتة، غمارة، مصمودة، صدينة، يزدان ، واركلان وغيرهم ينظر: ابن خلدون: المصدر السابق ، مج7،ص 109.

[3] – انتشرت بين غدامس و نفزاوة بالجريد، و إلى هذه القبيلة ينسب أبوا عمار عبد الكافي التناوتي كما ينسب ابن درار الغدامسي إلى نفس القبيلة، احتضنت الاباضية في وقت مبكر، ينظر: بوعصبانة :المرجع السابق ،ص 26.

[4] – ابن خلدون: المصدر السابق، مج6، ص 8.

[5] – أعزام: المرجع السابق، ص 28.

إضافة إلى البربر والعرب، فقد ورد ذكر لوجود اليهـود في عمـوم بـلاد المغـرب كمهاجرين من العصر الروماني، حيث برزوا مع ما قاموا بـه مـن أنشـطة اقتصـادية[1]، فقد وصف أعزام وجودهم حيث قال: "في الديار الشـرقية مـن بـني إبـراهيم والـتي بقيت ملكهم إلى أن طردهم الأشراف عند استيلائهم على البلاد"[2].

أما عن الفئات الاجتماعية في وارجلان عرفـت تباينـا واضـحا لفئـات المجتمـع فوجدت طبقة غالبة على المجتمع نقصد بها طبقـة التجـار، إضـافة إلى طبقـة أخـرى وهي طبقة العبيد الذين كانوا يجلبون من بلاد السودان.

العمران:

نعلم أن طبيعة البيئة هي التي تفرض نفسها على نمـط العمـران، وكمـا درسـنا سابقا أن مدينة وارجلان ذات بيئة صحراوية، بالإضافة إلى البيئـة نجـد أيضـا عنصـر متحكم في نوعية العمران وهو الأحوال الاقتصادية، والتي تـأثر سـلبا أو إيجابـا علـى العمران فبازدهار الاقتصاد تعمر المدن وتنشـط الحيـاة اليوميـة وبانحـداره وتـدهوره يقل العمران، بالإضافة إلى عامل مؤثر آخر و هو الـدين، فـيمكن بنظـرة بسـيطة إلى الوضع العام لأي مدينة نعرف أنهـا مدينـة إسـلامية أو نصـرانية أو وثنيـة أو غـير ذلك[3].

أما مدينة وارجلان كانت عمارتها تتصـف بالطـابع الإسـلامي بحكـم الـدين، فيصف لنا احد الباحثين أن أزقتها كانت ضيقة ولعل السبب تـوفير كميـة كـبيرة مـن الظل في الصيف والدفء في الشتاء، والتقـارب بـين الجـيران ووصـف منازلهـا مـن

[1] –محمود إسماعيل عبد الرزاق : الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع هجري، ط2، دار الثقافة المغرب، 1985م، ص 286.
[2] – أعزام: المرجع السابق، ص 24.
[3] – بوعصبانة: المرجع السابق ، ص 79.

خلوها من النوافذ المكشوفة والـدافع مـن ذلـك مراعـاة حرمـة العـرض والسـترة اللازمة[1].

أما عن سور المدينة تتخلله ثمانية أبواب وهـي: بـاب أبي الربيـع، بـاب رابعـة، باب البستان، باب أحميد، باب الخريجة، بـاب أبي إسـحاق، بـاب أبي عمـار، بـاب عزّي، ويذكر لاغجو من بينها باب السلطان[2]، وباب أوامان[3].

أما الحوا ضر التي كانت تابعة لها نـذكر حاضـرة سـدراتة الـتي تبعـد عنـها حوالي 8 ميل، ومدينة تماواط بحيث يذكرها الـدرجيني في حديثـه عـن الشـيخ أبـوا نوح سعيد بن يخلف الذي قدم إلى وارجلان زائرا فـرأى القـوم يغتسـلون ويتوضـئون في ساقية تماواط ثم يطلعون منها ويمشون حافية أرجلهم على مرابط الإبل والغنم[4].

بالإضافة إلى مدينة تين باماطوس بحيث يخبرنا الوسـياني بأنـه، "أهـل وارجـلان إذا مات من ينظـر إليـه في وارجـلان لا يعجلـون في دفنـه حـتى يبعثـوا إلى تـين باماطوس، و إذا مات بتين باماطوس فكذلك"[5]. إضافة إلى ما ذكـره أبـو زكريـا مـا لهاته المنطقة من أهمية بحيث قال: "لا تذهب الأيام والليـالي حـتى يجتمـع بنـو يجريـر بتين باماطوس"[6].

أما عن قصور مدينة وارجلان نذكر قصر وارجـلان الـذي يعتـبر النـواة الأولى في تأسيسها وهو يعد من القصور المغلقة[7]، وله سـبعة أبـواب مصـنوعة مـن خشـب النخيل، وهناك أيضا قصر الرويسات الذي يقع في الجهـة الجنوبيـة لقصـر وارجـلان

[1]- بوعصبانة: المرجع السابق ،ص ص 81-82.

[2]- باب السلطان سبق ذكره عند العياشي : المرجع السابق، ص 4.

[3]- أعزام:المرجع السابق، ص 27.

[4]-الدرجيني: المصدر السابق ، ص410.

[5]- الوسياني: سير مشائخ المغرب،نح:اسماعيل عربي،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر ،1986 ،ص 81.

[6]- أبو زكريا يحي: سير الائمة الرستميين، تح: اسماعيل العربي، ط3، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر 1984، ص 65.

[7]- احمد ذكار: المرجع السابق، ص42.

وحسب بعض المراجع فـــهو يبعد عنه بحوالي ميلين ونصـــف[1]، وقصـــر نفوســـة يبعـــد حوالي 11 ميل من مدينة وارجلان. ويقال بأنـــه أقـــدم قصـــر في وادي ميـــة، يتكـــون من قصر كبير له أربعة مداخل[2].

أما فيما يخص المنازل التي كانـــت موجـــودة في هاتـــه القصـــور، فقـــد تميـــزت البيوت بزخرفة بارزة على أرضية غائرة بلغ عمقه حـــوالي 3ســـم، فقـــد تـــأثر الفنـــان الورجلاني بمحيطه حيث وضع عدة بتلات علـــى شـــكل مروحـــــــــة وترتكـــز في وسطها على شريط بارز منحني باستدارة جذع النخلة[3].

أما المساجد فكانت على الأغلب خالية مـــن الزخـــارف أو الآجـــر أو الرخـــام أو الخشب المنحوت، فكانت كثيرة البساطة في تصاميمها وبتائهـــا وذلـــك اقتـــداء بعمـــل الرسول صلى الله عليه وسلم حينما بنى مسجده[4].

[1]-lethielleux jean , Op cit.p 217

[2]- يحي بوعزيز: ثورات الجزائريين القرنين التاسع عشر و العشرين، دار البعث، قسنطينة، 1400هـ/1980م، ص124.

[3]- شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية من الفتح الإسلامي إلى سنة1830، تح: محمد مزالي،ا لبشير بن سلامة، ج2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1985م، ص34.

[4] -بوعصبانة: المرجع السابق، ص86.

الفصل الثاني : الحياة السياسية لمدينة وارجلان

- وارجلان في العصر القديم
- وارجلان في العهد الرستمي
- وارجلان في العهد الفاطمي
- وارجلان في العهد الحمّادي
- وارجلان في العهد المرابطي
- وارجلان في العهد الموّحدي
- **السياسة الداخلية و الخارجية لوارجلان**
- السياسة الداخلية.
- السياسة الخارجية

- مدينة وارجلان أيام ثورة مخلد بن كيداد

في ظل غياب المصادر التي درست بعمق تاريخ حاضرة وارجلان، خاصة منه الجانب السياسي، نجد تضاربا حول كتابات المؤرخين حول فترة تواجدها فهناك من يرجعها إلى ما قبل التاريخ وهناك من يرجعها إلى القرون العتيقة، في حين البعض الآخر يرجعها إلى الفترة الإسلامية، ومن هنا سوف نحاول التطرق لتاريخ وارجلان عبر هذه الفترات.

1. وارجلان في العصر القديم:

تعد منطقة وارجلان قديمة جدا، عرفت التواجد البشري منذ آلاف السنين، أي من العصر الحجري القديم المقدر عمره بأكثر من مائتي ألف سنة، فلقد أسفر المسح الشامل الذي اجري على وارجلان في القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي على اكتشاف عينات ومستحثات وغابات متحجرة، تعود إلى العصر الحجري القديم على مسافة شعاعها 62 ميلا من كل الاتجاهات المحيطة بوارجلان، أما في العصر الحجري الأعلى والذي يقدر عمره بستة آلاف سنة قبل الميلاد، فقد وجدت عينات كثيرة تعود إليه في المنطقة وتمثلت في المكاشط والفؤوس الحجرية والرحى والاتصال والأزاميل والمسننات والسهام المصنوعة من مادة السيلكس وبيض النعام المثقوب من جهة واحدة[1] ... جمعت أكثرها من منطقتي ملالة وحاسي مويلح[2].

أما فترة العصر الحجري الحديث والذي يبدأ من ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، فقد عثر في الحاضرة على أثار تعود إلى هذه الفترة في كل من حاسي قنيفيدة وبامنديل وملالة وحاسي مويلح والحمراية والبكرات وحاسي المخادمة وقارة كريمة تتمثل في سهام وقطع الفخار وقطع صغيرة من بيض النعام مثقوبة في الوسط، يعتقد أنها كانت تستعمل عقود

[1]- وجدت في كل من منطقة ملالة، و حاسي موله، و حاسي الحجر، و الحمراية، و البكرات و حاسي المخادمة..تقع هذه المواقع في محيط وارجلان على أبعاد لا تزيد عن 40كلم في الاتجاهات الأربعة.

[2]- احمد ذكار: المرجع السابق، ص 34.

للزينة، ومن خلال ما عثر عليه علماء الآثار في الجهة من العصر الحجري القديم الأسفل إلى العصر الحجري الحديث، من مخلفات مادية تظهر عليها بصمات الإنسان، والتي لا يمكن أن تكون من صنع الطبيعة، دلت على وجود الإنسان منذ آلاف السنين بحاضرة وارجلان، ومدى تأقلمه مع بيئته، وذلك بصنعه ما يعوضه عن ضعفه من الحجارة المتوفرة في محيطه[1].

في حين أرجعت بعض المصادر التاريخية أن وارجلان يعود تواجدها إلى الفترة النوميدية وهذا استنادا إلى قول احد المؤرخين" وركلة مدينة أزلية بناها النوميديون في صحراء نوميديا لها سور من الحجر النيئ ودور جميلة ويوجد في ضواحيها عدة قصور وعدد لا يحصى من القرى"[2].

ومن منطلق هذا الكلام نستنتج أن وارجلان كانت مملكة قوية ومحصنة بسور له أبواب، وعاصمة لمجموعة من القصور والقرى المحيطة بها، والثراء ظاهر عليها وعلى سكانها، لكن الوزان لم يقدم أي سند أن هذا الوضع كان في عهد النوميديين[3].

في حين ترجع اغلب المراجع أن فترة تواجدها كان في العهد الروماني، ابتداء من منتصف القرن الثاني قبل الميلاد، فيذكر لنا احد الباحثين أن الرومان دخلوا إلى وارجلان لكنهم لم يستقروا فيها، لأنهم اكتفوا بإقامة عدة نقاط للمراقبة في الصحراء، فوصلت إحدى حملاتهم التي قادها "كورنيليوس بالبوس" إلى النيجر سنة 200ق.م، فيذكر كل

[1]- احمد ذكار : المرجع السابق، ص ،ص 34-35.

2 – الوزان: المصدر السابق، ص136.

[3]- احمد ذكار: المرجع نفسه، ص40 .

من التجاني والقلقشندي أن بعد حروب دامية بن الـــروم والبربر وقـــع صـــلح بينـــهما حيـــث اتفقوا على أن تعود المدن والجهة الشمالية الساحلية للروم والجبال والصحاري للبربر[1].

لذلك يحتمل أنهم قدموا لجمع الضرائب من سكان وارجـــلان، و اســـتمر هـــذا الوضـــع إلى القرن الثامن ميلادي، و هو التاريخ الذي استطاع فيه أهل وارجـــلان التحـــرر نهائيـــا مـــن السيطرة الرومانية، نتيجة انشغال الرومان بحروب بربر الشمال[2].

2. وارجلان في العصر الإسلامي:

نعلم أن في فترة الفتوحات الإسلامية للمغرب الأوسط، نـــزح العديـــد مـــن البربـــر إلى الداخل، بسبب الحروب التي شنها العرب الفـــاتحون ضـــدهم، فمـــن المعـــروف أن المغـــرب الإسلامي بعد ولاية موسى بن نصير[3]، تعاقب عليـــه ولاة صـــالحون وولاة أســـاءوا الســـيرة في البربر، وزاد الأمر سوءا في عهد عبيـــد الله بـــن الحبحـــاب[4] حيـــث أســـرف في سياســـته التعسفية مع البربر فقام بتطبيق سياسة تخميس[5] أعشار البربر وهـــو مـــن بـــين الأمـــور الـــتي دفعت إلى نزوح بعض القبائل البربرية، من بينها "بنو واركـــلا" مـــن قبائـــل زناتـــة، الـــذين استقروا في وارجلان وسميت المدينة باسمهم[6].

---

[1]- التيجاني : رحلة التيجاني، تح: حسن عبد الوهاب،ا لمطبعة الرسمية، تونس، 1958ص 160.، القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الانشا،ج5، عرض و تحليل عبد اللطيف حمزة، المؤسسة العامة للطباعة و النشر،ا لقاهرة،ص 116.

[2] - مسعود مزهودي: المرجع السابق، ص 31.

[3]- **موسى بن نصير:** هو موسى بن نصير بن عبد الرحمن بن زيد يكنى أبا عبد الرحمن من بني لخم ولد سنة تسع عشرة الهجرية في خلافة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه هو من قادة الفتح الإسلامي و قادة الفكر الإسلامي في الشام دار الخلافة.ينظر: محمود شيت خطاب ، قادة فتح المغرب العربي،ج1، دار الفكر للطباعة و النشر، ط 7 ، 1984 م ص 223.

[4]-**عبيد الله بن الحبحاب** : كان واليا على خراج مصر حينما ولاه هشام بن عبد الملك على المغرب و الأندلس بالاضافة إلى عمله في مصر سنة 116 هـــ/734م، بهذا أصبح هذا الرجل يحكم غرب الدولة الإسلامية من العريش شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا.ينظر رقيق القيرواني : تاريخ افريقية و المغرب ،تح وتع:محمد زينهم، دار الفرجاني للنشر و التوزيع، ط،1 1994مـــ، ص66.

[5]- **الخمس:** " آخذك واحدا من خمسة, تقول خمست مال فلان.و خمسهم يخمسهم بالضم خمسا:اخذ خمس أموالهم.ينظر:ابن منظور: لسان العرب، تح: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ج 4، ص 217.

[6]- ابن خلدون: المصدر السابق، مج 7، ص، ص 318-320.

والملاحظ أن المصادر التاريخية والاباضية لم تعر اهتماما كبيرا حول التاريخ السياسي لوارجلان في هاته الفترة، فبعد التعمق الدقيق في دراستنا لتاريخ المنطقة نصل إلى أن التاريخ السياسي لمدينة وارجلان بدا بقدوم يعقوب بن افلح آخر الأئمة الرستميين، لذلك سوف نتطرق لدراسة المنطقة في فترة الرستميين و ما جاء بعدهم من دول، ولكن قبل ذلك يجب التطرق بشكل مختصر إلى الأوضاع السياسية التي كانت سائدة في المغرب قبل التواجد الرستمي، فالمغرب كغيره من البلاد الإسلامية عانى من الفتن السياسية الناجمة عن الخصومات القبلية بين القيسية واليمنية[1]، إضافة إلى انشغال الولاة بالخصومات القبلية. فسبق وأن اشرنا، أنّ البربر عانوا من سوء معاملة عمال الأمويين لهم فأرهقوهم بالمغارم والجبايات إلى درجة أن اعتبر بعضهم بلاد المغرب دار حرب حتى بعد اعتناقهم للإسلام[2].

فاستياء البربر من هذا الوضع أدى بهم إلى تقبل المذاهب التي جاءت من المشرق ونعني بذلك المذهب الصفري والاباضي، هذه المذاهب كانت مناهضة للسلطان الظالم، في المقابل كانت تحمل مبادئ العدل والمساواة فوجد البربر ضالتهم في اعتناقهم لها، إذ رأوا فيها السبيل الأمثل للتخلص من ظلم السلطان الأموي، إضافة إلى انه يتناسب مع عقلية البربر، ففتح البربر صدورهم لدعاة المذهب الاباضي واحتضنوهم وخاصة أن المذهب يتفق في كثير من أصوله وفروعه مع مذاهب أهل السنة وهو اقرب إلى أهل السنة من بقية الفرق الأخرى[3].

فتطور الوضع حتى أصبحت لهذه المذاهب كيان سياسي قائم بذاته مستقل كليا عن الخلافة العباسية والخلافة الأموية ومن هذه الكيانات السياسية نجد الدولة الرستمية

[1]- عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، ج2، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1981 ص300.

[2]- المرجع نفسه: ص ص 213- 300.

[3]- خالد احمد صالح: الاباضية تعاليمهم و انتشارهم في المغرب العربي، مجلة جامعة الانبار للعلوم الإنسانية، عدد1، 2011، ص ص 126- 127.

التي قامت على أساس المذهب الاباضي على يد عبد الرحمن بن رستم[1]، سنة 160ه/776م، وهو التاريخ الذي رجحته كتب الاباضية ابتدءا من أبي زكريا، الشماخي والدرجيني [2].

2.1. وارجلان في العهد الرستمي:

في منتصف القرن الثاني للهجرة منتصف الثامن الميلادي، إبان قيام الدويلات الإسلامية ببلاد المغرب، كانت وارجلان تمثل الحدود الجنوبية للدولة الرستمية[3]، ولم يقتصر الأمر على وارجلان فقط بل شملت عددا من الواحات الأخرى مثل وادي ريغ والزاب وجزء من الجريد، وهذا ما أكده احد الباحثين بقوله: "أن حدود الدولة الرستمية شملت الصحراء بما في ذلك وارجلان"[4]، وللإشارة أن المذهب الاباضي كان سابق الوجود من قيام الدولة الرستمية إذ يؤكد ذلك ابن خلدون في قوله: "نزل الكثير منهم (أي الاباضية) ما بين قصور الزاب ووركلا فاختطوا قرى كثيرة في عدوة واد ينحدر من الغرب إلى الشرق ويشمل على مصر الكبير والقرية المتوسطة ... واكبر هذه الأمصار هي تقرت"[5].

ويذكر باحث آخر أن التواجد الاباضي بالمنطقة كان ابتدءا من سنة 101ه/720م، ولذلك كان اندماج مدينة وارجلان بالدولة الرستمية عفويا وطواعية

---

[1] – **عبد الرحمن بن رستم** : هو عبد الرحمن بن رستم بن برهام بن كسرى ولد بالعراق في العقد الأول من ق2هـ و يرجع في نسبه إلى الأكاسرة ملوك الفرس فهم أجداده نشأ في القيروان و تنسب إليه الدولة الرستمية باعتباره مؤسسها، ينظر: بحاز و آخرون : معجم أعلام الاباضية ، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان، ط2، ص246.

[2] – زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الاستقلال، ج1، دار المعارف، الإسكندرية، دت، ص ص 296-305.

[3] – إبراهيم بحاز : الدولة الرستمية.دراسة في الأوضاع الاقتصادية و الحياة الفكرية، مطبعة لافوميك الجزائر سنة 1985م، ص107.

[4] –يوسف عبد الكريم جودت : العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1405ه_1984م، ص 58.

[5] – **تقرت:** مدينة من مدن الواحات الشهيرة، تقع بين بسكرة جنوبا من ناحية،و وادي سوف غربا من ناحية أخرى، ينظر: إبراهيم محمد الساسي العوامر و الجيلاني بن إبراهيم العوامر،الصروف في تاريخ صحراء وسوف، الابيار، الجزائر، 2007، ص32.

أي أنها تابعة لها روحيا[1]، بينما يرى باحث آخر أن ارتباط وارجلان بالدولة الرستمية كان مجرد تبعية اسمية فمثلها مثل اباضية جبل نفوسة[2]، وجزيرة جربة[3]، والمشرق، إذ كانوا يدعمون بإرادتهم الدولة الرستمية بشكل مساهمات مالية أو معنوية[4]، فوارجلان وحاضرتها سدراتة قد كانتا مستقلتين، كل ما يربطهم بالدولة الرستمية من علاقات هو اعترافهما بالتبعية الاسمية فقط، ولعل ما ساعد في إيجاد هذا الشكل من هاته العلاقة هو التخلي الرسمي حتى عهد الإمام افلح عن مبدأ المركزية في الحكم[5].

وهو ما أكده المؤرخ الاباضي علي معمر على اعتبار أن نفوذ الدولة الرستمية على وارجلان كان" نفوذا اسميا لا يتعدى إقامة حدود الله على من يخرج عنه ... أما في غير ذلك فقد كانت تترك لأهل البلاد أن يعيشوا كما يحلوا لهم، فهم أحرار في معاملاتهم وتجارتهم وجميع أعمالهم"..

والملفت للنظر أن المصادر لم تشير إلى وجود حاميات عسكرية للجيش الرستمي في وارجلان، بمعنى آخر أنها لم تكن تابعة عسكريا للدولة الرستمية، إذ يورد احد الباحثين أن جنوب إفريقيا كانت عامرة بمجموعات من الاباضية كانت تدين بالولاء

---

[1]- بوعصبانة :المرجع السابق ،ص 67.

[2]- يقول علي يحي معمر بان جبل نفوسة بعد معركة مانو احتفظ بانعزاله السياسي و لم يكتك بإحدى الدول القائمة و لم يدعوا للثورة،و لم يشارك فيها و لا يقيم لنفسه حكما بجهاز دولة بل اختار هيئة من الرجال الأكفاء تمثل الجبل بجمع نواحيه و تتولى تحت رئاسة احد العلماء شؤون الجبل الدينية و الاجتماعية و يتولى ذلك شيخ الجبل كما أطلق عليه أو حاكم الجبل.الاباضية في موكب التاريخ الاباضية في الجزائر، (د ط),(د س),ج2،ص 298.

[3]- **جربة** : جزيرة بالبحر افريقية اقرب البلاد اليها قابس، يسكنها بربر لايتكلمون العربية، و هي صغيرة جدا ذات نخل و كروم،.ينظر: محمد بن عبد المنعم الحميري : الروض المعطار في خبر الاقطار، تح :احسان عباس ، مكتبة لبنان، ط1، 1984، ص158.

[4]- حاج عيسى : المرجع السابق، ص 40.

[5]-محمود إسماعيل عبد الرزاق: المرجع السابق، ص 169.

المذهبي والسياسي، للرستميين بتاهرت، ومن هنا ننفي عدم وجود رباط عسكري بينهما[1].

ومن هذا المنطلق نخرج بنتيجة أن تبعية وارجلان للدولة الرستمية لا تترتب عنها أي نتائج سياسية وعسكرية، أما على الصعيد التجاري فلم تشر المصادر التاريخية أنها كانت توجد تبعية تجارية بين وارجلان وتاهرت رغم وقوع الأولى على الخط التجاري الذي يصل تاهرت بحوض نهر النيجر مرورا بوارجلان[2].

وبعد سقوط الدولة الرستمية على يد الشيعة العبيديين ، سنة 296هـ/ 908م، وقتل الشيعي لليقظان بن أبي يقضان انقطع ملك بني رستم[3]، بعدما عمرت مدة قرن ونصف من الزمن، بينما يحدد باحث أخر أنها عمرت مدة قرن وثلاثين سنة[4]، فبعد إسقاطهم لمدينة تاهرت، توجه ورثة هذه الدولة بقيادة الإمام يعقوب بن افلح بن عبد الوهاب إلى وارجلان خوفا من بطش جيش عبيد الله الشيعي[5].

وكان يعقوب على جواد عظيم الشأن يضرب به المثل في المغرب كله[6]، ولما لحقه العسكر اعترضهم في الطريق وصدهم عن الاتصال به وبمن معه وكلما رآهم سائرين نحوه أمر من معه بالمسير ووقف هو في الطريق فإذا رآه العسكر واقفا ينتظرهم وقفوا في مكانهم رعبا منه لما كان له من الهيبة والشدة ولما أعياهم أمره ولم يقدروا له على شيء

---

[1]- عبد العزيز فيلالي: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس و دول المغرب، ط2، دار الفجر للنشر و التوزيع، القاهرة مصر.2001،ص 179.

[2]- حاج عيسى: المرجع السابق، ص 41.

[3]- ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ،مج 1تح: ج.س كولان وليفي بروفنسال ، دار الثقافة، بيروت لبنان، ص 197.

[4]- ابن عذارى:المصدر السابق: ص 42.

[5]- احمد ذكار: المرجع السابق ، ص 43.

[6]- نفس هذه المعلومات تقريبا عن الفرس الذي يملكه يعقوب بن افلح و الذي به هرب من قبضة العبيديين سنة296هـ إلى وارجلان نجدها في المصادر الاباضية: أبوا زكرياء، سير ص 124. الدرجيني الطبقات، ج1، ص 104.ابن الصغير:أخبار الأئمة الرستميين،ت ح:محمد ناصر وابراهيم بحاز، دت،دط، ص98.

رجعوا وتركوه لحاله، فنظر إلى أصحابه وقال: "افترقوا فقد انقضت أيامكم وزال ملككم فلا يعود إليكم إلى يوم القيامة".[1]

فلما بلغوا وارجلان تلقاهم أبوا صالح جنون بن يمريان، الموصوف بشيخ المدينة[2]، في جموع أهل واركلان فأكرموه ورفعوا درجته وأحسنوا القيام بحوائجه ثم طلبوه أن يولوه على أنفسهم فامتنع[3].

وقال: "الجمل لا يستتر بالغنم"[4].وقد هنا نجد أن الأمام يعقوب قد قابل هذا العرض بنوع من عدم الإكبار وهو ما قد يفيد بان ذلك كان أمرا غير عملي، بسبب صعوبة البيئة وعدم وجود القوة الكافية للحماية النظام الجديد، ولا ندري إن كان هذا الرد مبنيا على معرفة مسبقة وعميقة، آم من باب عدم القدرة على هضم الهزيمة.

ويبدو أن فكرة إعلان الإمامة والمجاهرة بالولاء لأئمة[5]، جاءت كمبادرة عّبر عنها عنها أهل وارجلان، فيبدو أن رغبتهم في ذلك الأمر تسبب في إثارة غضب الداعي الشيعي أبو عبيد الله المهدي الذي أمر بملاحقة الفارين إلى وارجلان وتأديب سكانها[6].

---

[1]- الباروني : الأزهار الرياضية في أئمة و ملوك الاباضية، مطبعة الأزهار البارونية، مصر، (د س ط)، ص138.

[2]- **أبو صالح جنون بن يمريان** : حسب طبقات المشايخ للدرجيني ولد في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري درس على يد مشايخ وارجلان و على رأسهم الطرفي تولى مهمة رئاسة مجلس الجماعة بوارجلان أعطى أهمية كبيرة للعلم و العلماء و كان رحمه الله ينفق من ماله الخاص على طلبة العلم في جانب المأكل و الملبس،توفي في النصف الأول من القرن الرابع للهجرة، .ينظر الدرجيني : المصدر السابق ، ج2، ص104

[3]- كثيرا ما يضرب شيوخ الاباضية الأمثال بالجمال و الأغنام و العجول و الطبيعة و الفلاحة, وقد احتوت المصادر جملة من هذه الأمثال مثل(خشيت أن تذبح البقرة فيتبعها عجلها)، (ا ناهل زماننا هذا كالتيوس إذا اجتمعوا تناطحوا و إن تناطحوا و إن افترقوا تصايحوا) ، (إنما مثل أهل الزمان مثل السبخة التي بفنائها إذا ابتلت ازلقت و إن نضبت و تيبست خدشت و جرحت)، ينظر:الدرجيني:المصدر السابق ،مج2 ،ص 386،أبوا زكريا: المصدر السابق، ص ص 179-324.

[4]- الشماخي:احمد بن سعيد،(ت928هـ)السير، دار الابحاث للترجمة و النشر و التوزيع ، تلمسان ، الجزائر،ط1، 2011 ، ص 241.

[5]- للتعرف أكثر حول مسالك الدين و ما يتصل بها راجع: الوسياني :السير ج3،ص 475، معمر يحي: المرجع السابق: ص 76-78، بوعصبانة :المرجع السابق ص ص64-65.

[6]- عمار غرايسية : المدينة الدولة في المغرب الأوسط ورجلان نموذجا، رسالة ماجستير قسم التاريخ، غير منشورة ، جامعة الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر 2008م ،ص 76.

2.2. وارجلان في العهد الفاطمي:

انخرطت بلاد المغرب التي غلب عليها أمر عبد الله الشيعي داعي عبيد الله الشيعي المهدي بالمغرب، فهرب زيادة الله إلى مصر وترك افريقية وبخروجه انقضت دولة بني الأغلب من افريقية. ومنه خرج إلى سجلماسة لتخليص المهدي من سجنه" فمر بتاهرت التي خضعت له. ثم تابع زحفه ووصل إلى سجلماسة".

وفي ظل هذه الأحداث حدث التحرك العسكري ضد وارجلان للقضاء على جميع الطموحات في إحياء الدولة أو استعادة الحكم الضائع. فقد أشار أبو زكريا إلى أن عبيد الله المهدي لما كان قاصدا سجلماسة جاز بطريقه إلى وارجلان، فلما رآه سفهائهم هزؤوا منه وقالوا: "هذا الذي جاء من المشرق يطلب الملك؟ فرموا في وجهه وضربوا له القرون، وكان اشد الناس عليه أهل قصر بكر ..."[1].

وهذا معناه أن وارجلان لم ترحب بالوافد الاباضي رغم ما اتصف به أهلها من تسامح مع أهل الخلاف. و هذا ما سيعمق فكرة الانتقام من وارجلان خصوصا أنها ستكون الملجأ لبقايا البيت الرستمي[2]، فكانت النتيجة توجيه جيش العبيديين إلى وارجلان كما سبق الذكر، فلما سمع أهلها بقدوم عسكر العبيديين، خرجوا إلى كدية[3] كريمة، التي وصفها الدرجيني بأنها" كدية حصينة شاهقة بينها وبين وارجلان ستة أميال،[4]" وذكرها أبا زكريا بأنها "كدية لا ترام"[5]، وهو ما قد يفيد أن وارجلان كانت كانت على مستوى من الإدراك بالمخاطر المحدقة بها والاستعداد لها فتحصنوا به، بحيث

---

[1]- أبوا زكرياء : المصدر السابق، ص 166.ينظر أيضا:الدرجيني، المصدر السابق ،ج1، ص 93.

[2]- غرايسية: المرجع السابق، ص 89.

[3]- **الكدية**:هي المكان المرتفع عن الأرض و هي أيضا صلابة تكون في الأرض،و لعل المقصود بها هنا موقع قريب من مدينة تاهرت، ينظر: ابن منظور،المصدر السابق ،ج 3، ص 232.

[4]- الدرجيني: المصدر السابق،ج1، ص 95

[5]- أبو زكريا: المصدر نفسه، ص 164.

حاصرهم الجيش الفاطمي مدة قاربت الشهر، إلى أن يئس منهم الجيش الفاطمي. فخربت المدينة عن أخرها سنة 310هـ/922م[1]، فهشموا عمرانها وقطعوا الأشجار واتلفوا مطامير التمر وعثروا على قارورة من بيض النعام مملوءة بالشعير فأخذها عبيد الله الشيعي معه.

ولما وصلوا إلى القيروان لامهم عبد الله الشيعي على هذا التقصير حيث أنهم لم يتمكنوا من القضاء على ثلة قليلة من الفارين فقالوا له: " كيف نقاتل حصنا كهذا؟ وهذه مطاميرهم، واخرجوا له البيضة المملوءة بالشعير"[2]، وأراد الحاكم الفاطمي أن يعيد الهجوم على وارجلان مرة ثانية في السنة الموالية 298هـ/910م، لكن الموت لم تمهله، فتولى ابنه أبوا القاسم بن عبيد الشيعي العرش لكنه لم يستطع أن ينفذ طموحات والده وانشغل بثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد[3] "صاحب الحمار"[4]. وهذا الفشل الذي تعرضت له وارجلان زاد من عزيمة أهلها بإصرارهم على إعادة إعمار المدينة وتجديد البناء، ولتضل كريمة كدّة في قلوب الأعداء "وبقيت وارجلان معقلا للمقاومة الاباضية ضد الفاطميين"[5]، كما ستكون في وقت لاحق قاعدة عظيمة وسندا قويا للموحدين ولجميع الاباضية ولعل من اكبر النماذج المؤكدة على ذلك صمودها في وجه حركة ابن

---

[1]- حاج عيسى: المرجع السابق، ص 43.

[2]- الدرجيني : المصدرسابق، ص 48.

[3]- **أبوا يزيد بن مخلد بن كيداد:** هو أبوا يزيد بن مخلد بن كيداد الزناتي اليفرني النكاري الخارجي الملقب بصاحب الحمار،ثائر من زعماء الاباضية و أئمتهم،بربري الأصل،كان يغلب عليه الزهد و التقشف.انظر:الزركلي:المصدر السابق ،ج7،ص 194.أما ابن عذارى ، المصدره مخلد بن كيداد بن سعيد الله بن مغيث بن كرمان بن مخلد بن عثمان بن وريمت بن تبقراسن بن سميدار بن يفرن.انظر:ابن عذار، المصدر السابق،ج1 ،ص 216.

[4]- احمد ذكار : المرجع السابق،ص 50.

[5]- محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص 234.

غانية الميورقي المسوفي عام 626هـ/1228م[1].كما ساندت ثورة أبي يزيد حيث كانت من بين الأماكن التي لجا إليها.

فيبدوا أن الاباضية بذلوا جهدهم في إعادة بعث دولتهم إلا إنهم فشلوا في ذلك لذلك فكر زعمائهم في انتهاج أسلوب يحفظ لهم مذهبهم ويكرس وحدة جماعتهم في الأماكن التي التجئوا إليها بعد انهيار دولتهم، فوجدوا أن أفضل الطرق لبلوغ الهدف هو العودة إلى طور الكتمان والدعوة سرا لوحدة مذهبهم، وقد صعب على اباضية وارجلان تعيين شخص واحد ليكون أمام كتمانيسير أمورهم ويجمع شملهم ذلك لأنهم كانوا موزعين في مختلف المناطق التي كانت متباعدة فيما بينها تفصل بينهم قوى معادية تتربص بهم.[2]

إضافة إلى عدم اقتصار وارجلان على المذهب الاباضي فقط بل كان للمذهب المالكي حضورا واسعا خاصة بعد قدوم عائلة علاهم الدين، بحيث كان لهم دور هام في نشر المذهب المالكي فقد ذكر صاحب غصن ألبان، بأنه مع قدوم عائلة علاهم إلى وارجلان أسسوا أول مسجد مالكي في المدينة[3]. أما العياشي أورد في رحلته أن الأمير علاهم كانت له مكتبة تحوي العديد من كتب ألفه المالكي[4].

[1]- غرايسية: المرجع السابق ، ص 93.

[2]- عوض خليفات : تنظيمات السياسية و الادارية عند الاباضية في مرحلة الكتمان نظرة خاصة الى بلاد المغرب العربي ، وزارة العدل و الاوقاف ، سلطنة عمان ، دت، دط، ص 12.

[3]- أعزام: المرجع السابق، ص 52

[4]- العياشي : المصدر السابق ، ص 78.

2.3. وارجلان في العهد الحمّادي:

في مطلع القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي[1]، ظهرت على مسرح الأحداث بالمغرب الأوسط دولة ناشئة موالية للدولة العباسية في المشرق، بقيادة حماد بن بلكين بن زيري[2]، ذلك أن هذا الأخير يكون حسب الدرجيني قد "اجتاز على بلاد اريغ وعلى كدية بني غمرة وهم قوم ظلمة فتاكون أهل فساد وغارات .. فتجاوزهم ونزل بتميرينت فلم تمضي أيام حتى نزل عليهم حماد بعسكره فأجلاهم ودمرهم تدميرا."[3] ومن المفترض أن وارجلان كانت ضمن هذا الموقف العسكري بحكم التماثل المذهبي.

أما في عهد الناصر بن علناس أصبحت وارجلان تابعة رسميا للدولة الحمادية، ذلك أن الأمير يكون قد عين بعد سنة 460هـ/1067م "واليا على ورقلة نجهل اسمه"، وطالبه بضمان السير الحسن للتجارة الخارجية مع السودان، حيث كانت كل بضائع الدولة الحمادية المتوجهة جنوبا، تمر على طريق وارجلان، وتأكيدا لهذه التبعية وفرض سيطرته عليها، بالإضافة إلى سبب آخر وهو ملاحقة الهلاليين والمتآزرين معهم من جهة، فأوفد عليها الناصر ابنه المنصور في قوة عسكرية لكسر التحالف الذي قام بين زناتة وعرب بني هلال "وبعث سراياه وجيوشه إلى بلد واركلان وولى عليها وقفل بالغنائم والسبي"[4].

فلم يتلقى أي مقاومة تذكر فعاث فيها فسادا وتخريبا، وحطم معظم القصور بما فيها سدراتة، وقطع أشجار النخيل وغور عيونها، وبعد هذه الحادثة هاجر عدد كبير من

[1] – عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة، بيروت لبنان، 1980، ج2، ص275.
[2] – احمد ذكار: المرجع السابق، ص 51.
[3] – الدرجيني: المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 412-413.
[4] – ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 206.

سكان سدراتة إلى غرداية، وبقيت ثلة قليلة عملت على ترميم ما خرب، أما قصر وارجلان فقد أعيد بناءه من جديد شمال شرق المدينة المخربة ببضعة أمتار[1].

2.4. وارجلان في العهد المرابطي:

تعتبر الدولة المرابطية من ابرز الدول تأثيرا على عموم بلاد المغرب الإسلامي ومع أن الروايات والنصوص شحيحة إلا أننا سنحاول المقاربة اعتمادا على الاستنتاجات التي فيها الإطار الزماني والمكاني للموضوع.

فمن الملاحظ أن الحركة المذهبية ببلاد المغرب ظلت قائمة على ما يميزها من أطياف مذهبية، لكنها لم تأخذ منحى الصراع والتنازع، فقد استطاع المرابطون عبر الحواضر الصحراوية أن يحققوا "المزج بين ثقافة وحضارة الأندلس مع ثقافة وحضارة المغرب والسودان"[2]، وقد كان يوسف بن تاشفين بن إبراهيم اللمتوني (500هـ/1106م) من ابرز قيادات الدولة المرابطية، فيذكر لسان الدين ابن الخطيب انه جعل جّل بلاد المغرب تحت سلطانه[3].

ما يعطي إشارة باحتمال أن وارجلان كانت تقع ضمن الإطار الجغرافي للدولة المرابطية، إذ المؤكد أن حدود الدولة قد امتدت "من تونس شرقا حتى المحيط غربا، ومن البحر المتوسط شمالا حتى حدود السودان جنوبا" وقد كان يوسف بن تاشفين يهدف على الحفاظ على وحدة المغرب والسودان والاطمئنان على استقرار الأمن في الصحراء ما

[1] – احمد ذكار : المرجع السابق، ص 51.

[2] – عصمت عبد اللطيف دندش: أضواء جديدة على المرابطين، دار الغرب الإسلامي،لبنان، ط 1 ،1991،ص 33.

[3] – لسان الدين ابن الخطيب: اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، ج2، تح و تع: احمد مختار العبادي و ابراهيم الكتاني ، دار الكتاب للنشر و التوزيع، دار البيضاء، المغرب ، 1964.ص 388

قد يفسر لنا جانبا من احتمال وجود نوع من الاهتمام خاصة بأهم المعابر السودانية التي تعتبر وارجلان من بينها[1].

2.5. وارجلان في العهد الموحدي:

قامت الدولة الموحدية على فكرة التوحيد التي ارتبطت بالمهدي أبوا عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت، وعلى ما قام به عبد المؤمن بن على من جهود عسكرية، أقامت الدولة ورسمت حدودها خاصة في زمن جعفر بن على[2] الذي استطاع ضبط المغرب" أحسن ضبط واجلفت إليه زناته"[3].

ويبدوا أن وارجلان كانت ضمن النطاق الجغرافي لهذه الدولة مما كانت تتمتع به من مقومات اقتصادية، ففي عصر الخلفاء الأربعة الأول بلغت الدولة الموحدية أقصى اتساعها من طرابلس شرقا إلى المحيط غربا ومن الصحراء الإفريقية جنوبا إلى جبال الشارات شمالا[4]، ما قد يفيد بإمكانية اعتبار وارجلان احد الوحدات المشكلة للنسيج السياسي الموحدي، و يفيدنا الدرجيني في روايته التي تنفرد بها منسوبة إلى أهل وارجلان: "ان أول من وصل إلى وارجلان من رجال الدعوة المهدية العيتروسي، وصلها في خيل، فلما قدم إليهم دعاهم إلى إجابة الدعوة، فتشاوروا فيما يأتون وما يذرون، فاجمع رأي أكثرهم على قتله وأصحابه، حتى لا يظهر لهم ذكر، فقال علمائهم ما ضرنا أن نصل إلى الفقيه أبي يعقوب نعلمه بما وقع في نفوسنا و نأخذ ما عنده، فجاؤوهم بجمعهم،فقالوا له قد اجمعنا على أن نقتلهم قبل أن يعرفوا بلدنا، فان نخاف أن يخربوا

[1]- عمار غرايسية: المرجع السابق، ص 114.

[2]- لم اقف على ترجمة لهذه الشخصية.

[3]- مجهول: مفاخر البربر، دراسة و تح : عبد القادر بوباية، دار أبي الرقراق للطباعة و النشر،ط1، 2004، ص 143.

[4]- بحاز إبراهيم : المرجع السابق، ص 48.

بلادنا إن عرفوها، فقال لهم: هؤلاء لا يخربون بلدكم بل تناولون في أيامهم عزا و إقبالا"[1].

فالموقف الذي عبر عنه أهل وارجلان ونزوعهم إلى التشاور فيما بينهم مما يؤكد وجود هيئات اجتماعية تحقق الشورى وهو ما يعمق اليقين باستقلالية الكيان الذي كانت تمثله وارجلان، بالإضافة إلى أن وارجلان كانت تأتي على أهم الطرق التجارية مع بلاد السودان هذا ما جعل الدولة الموحدية تهتم بان تكون ضمن نطاقها فضلا عن نيتهم جعل المغرب كله تحت سيطرتهم[2]، ويبدوا أن وارجلان كانت ترتبط بالدولة الموحدية ارتباطا معنويا،محافظة على استقلالها.

3. السياسة الداخلية و الخارجية لوارجلان

3.1. السياسة الداخلية:

كما علمنا مسبقا أن المناصب التي كانت بوارجلان إبان وصول الإمام أبي يوسف يعقوب بن أفلح ما سمّته المصادر "أعيان وارجلان وأكابرها"، ويبدو أن هذه التسمية لا تتنافى وتسمية "الولاء"، فلقد أوردت هذه التسمية في عهد أبي عبد الله محمد بن بكر[3](ت 440هـ/1049م) حيث ذكر احد الباحثين أن بوارجلان ثلاثة وعشرون متوليا، ونفهم من هذا الكلام أنهم موزعون على القرى المجاورة لها[4]. وكان من أبرزهم الشيخ أبي صالح جنون بن يمريان، والشيخ أبوا صالح جمال المدوني المّزاتي، وأبو عمر

[1]- الدرجيني:المصدر السابق ،ج2 ، ص ص 493-494.
[2]- عمار غرايسية:المرجع السابق ،ص 117.
[3]- لم نقف على ترجمة لهذه الاعلام
[4]- بوعصبانة: المرجع السابق، ص 67.

التناوتي، و أبوا سليمان داود بن الياس أبوا يوسف الوارجلاني وأبوا يعقوب يوسف بن إبراهيم[1].

والظاهر أن ابا يوسف يعقوب بن افلح قد استقرا المدينة بسبب ثروتها الناجمة عن النشاط التجاري، الذي جعل منها قادرة على أن تسير نفسها بنفسها رغم تبعيتها للسلطة المركزية، وما يؤكد ذلك طبيعة التركيبة البشرية القائمة على التنظيم القبلي، التي تجعل من مفهوم وجوب إيجاد حكم دولة أو هيمنة خارجية في جميع الأزمنة مفهوم خاطئ لا أساس له من الصحة[2]، وهو ما جعل وارجلان أقرب لان تكون "بمثابة دولة مستقلة تحكم فيها السلطة الروحية والدينية، وغير تابعة فعليا لأي دولة"[3].

فمن المعروف أن وارجلان عاشت فترة سلام وهدوء في عهد الدولة الرستمية فرغم تبعيتها لها إلا أنها كانت سلطة خاصة قائمة بنفسها فيذكر أن عبيد الله المهدي لما اجتاز بوارجلان وجّه سؤالا يريد منه التعرف على شيخ وارجلان[4]، وكذلك كما سبق ذكره حول نزول الإمام أبو يعقوب على أهل وارجلان استقبل من قبل الشيخ أبوا صالح جنون بن يمريان، الموصوف بشيخ المدينة، كما أشار صاحب غصن البان أن وارجلان كانت حتى القرن الخامس الهجري والحادي عشر ميلادي عامرة بالاباضية ولا اختلاط معهم من الأجناس الأخرى وشؤونهم بأيديهم وكل واحد رئيس على عائلته ومنكب على أشغاله ومهماته والرئاسة العليا بيد حلقة العزابة[5] بالجامع الكبير[6]، وهو ما

---

[1]- **أبو يعقوب يوسف** : (500-570ه/1105-1175م) عالم و فقيه و متكلم من أشهر علماء الاباضية بوارجلان، كان إماما للدفاع ، انظر:معجم أعلام الاباضية ، ج2 ، ص ص481-483..

[2]-غرايسية : المرجع السابق ،ص 77.

[3]- بوعصبانة: المرجع السابق ،ص 69.

[4]- أبوا زكريا: المصدر السابق، ص 166.

[5]- يقول الدرجيني: " أول من أطلق لفظ"عزابي" أيام عبد الله محمد بن بكر لما أسس الحلقة و رتب قوانينها." لذلك صار النظام يدعى بنظام العزابة.فالقوانين التي وضعها أبوا عبد الله محمد بن بكر تتمثل في الشروط التي يجب أن تتوفر فيمن يدخل إلى الحلقة و أعضاءها و مهام كل واحد منهم و الذين صنفهم الدرجيني إلى أمرين(شيخ الحلقة،العرفاء) و مأمورين.ينظر:الدرجيني ،المصدر السابق، ج،1 ، ص 171.

[6]- أعزام: المرجع السابق ،ص104.

يؤكد أن وارجلان كان يتولى تسييرها الشيوخ الاباضيين ورثة دولة بني رستم.[1] ومن خلال الروايات التي أوردت في المصادر أن وارجلان كانت حقا قادرة على إدارة شؤونها بنفسها فهذا ابن غنية الورزماري الذي لم تفلح شكواه لإسماعيل بن قاسم رئيس تاغيارت[2] في إنصافه حقه من العزابة بتماواط "فشكاهم إلى ولاة وارجلان"[3]، ما قد يعطي الانطباع أن وارجلان كانت مركزا لسلطة تخضع لها حواضر أخرى، بحيث يؤكد بعض الباحثين على كثرة وجود الولاة في العهد الرستمي حيث كان يتم تعيينهم مباشرة من الإمام بتاهرت و أن هؤلاء الولاة كانوا يمثلون رعيتهم أمام حكامها[4].

أما عن سلطة المدينة فان أهم عنوان لعدم خضوع وارجلان لأي سلطان أن أهلها لم يدفعو ضرائب عن أملاكهم وديارهم و أنفسهم لاي لدولة، ذلك أن الضريبة غالبا ما كانت تعبر عن الخضوع لسلطة معينة. وهو ما جعل الرياسة العليا بيد حلقة العزابة بالجامع الكبير في كل مدينة[5].

وقد اعتبر هذا المجلس بمثابة المسئول الأول عن جميع الأحداث خاصة فيما يخص النوازل التي كان يجتمع لحلها جميع آهل الحل والعقد من ذوي الرأي والمشورة ومن يعد من مشايخ الأعلام بوارجلان وغالبا يكون ذلك عند الموضع المعروف بمنبر وارجلان[6].

وحسب ما يفهم من الشيخ أعزام أن شيخ العزابة هو الذي يلي الأمور كلّها الدينية والسياسية، وان هيئة العزابة هي السلطة العليا وهي مؤلفة من اثنتي عشر نفرا، ومنهم أربعة هم أصحاب الحل والعقد[7].

---

[1]- غرايسية: المرجع السابق، ص 79.

[2]- لم نقف على تعريف لهذه المنطقة من المرجح انها كانت تابعة لاقليم وارجلان و ذلك لتبعيتها لها و نفس الحال بالنسبة لتماويط

[3]- الوسياني: المصدر السابق ،ج2، ص347.

[4]- غرايسية: المرجع نفسه، ص 80.

[5]- الوسياني :المصدر السابق ، ص 58.

[6]- الدرجيني: المصدر السابق، ج2 ، ص 423.

[7]- بوعصبانة: المرجع السابق، ص 68.

وعلى ما يبدو أن أهل وارجلان كانوا منقادين فيه للسلطة الدينية والروحية لأولئك المشايخ الممثلين في مجلس العزابة الذي تعود نشأته في بداية القرن الخامس الهجري على يد الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر (440هـ/1049م)[1]، والعزابة جمع لكلمة عزاب وهو الاسم الذي يحمله العضو في حلقة العزابة والحلقة نظام ديني اجتماعي تربوي تطور عبر مراحل التواجد الاباضي بين وادي اريغ ووادي ميزاب و هو لا يزال ساريا مفعوله إلى اليوم والعزاب رجل اعتزل العوائق الدنيوية وعزب عن الملذات[2]، فإن تطبيق هذا النظام في صورته كمؤسسة أو هيئة لها دورها على الصعيد الاجتماعي والسياسي والإداري وغيره وهذا أدى إلى حفظ مجتمع متماسك يتميز بخصائص واضحة حافظ عليها[3]، فنظام العزابة وما ادخل عليه من تعديلات تطور من مجرد حلقة إلى نظام متعدد المؤسسات والهيئات المجسدة[4]، بحيث يعتبر هذا النظام" بديلا عن الدولة"[5].

ولحماية هذا النظام وجد ما يعرف بأهل الحل والعقد، بحيث ينظر إلى شيخ العزابة انه صاحب الشرعية، فهو لا ينال منصبه إلا بقرار انتخابه وهذا الانتخاب يعطي لرئيس هذا المجلس مطلق السلطة بالاستئناس بأهل الحل والعقد. فيكون بذلك. هو الذي يبت في الشؤون الخارجية بعدما يقوم بدرسها وتمحيصها مع هيئة من كبار الرجال والعارفين، وهو مرجع الفتوى في المسائل القضائية ... ولرئيس المجلس الديني قيادة الجيش وتدبير شؤون الحرب ووسائل الدفاع فهو إمام دفاع[6]، ويبدو جليا أن خضوع البلاد له مكن مكن وارجلان بان تكون كيانا مستقلة بذاتها ورئاستها العليا بيد مجلس العزابه[7].

---

[1]- عدون جهلان: الفكر السياسي عند الاباضية من خلال أراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيش 1236-1332ه/1818م-1914م، مكتبة الضامري للنشر و التوزيع، السيب سلطنة عمان، (د س ط)، ص 26

[2]- عدون جهلان: المرجع نفسه، ص 95.

[3]- علي يحي معمر : المرجع السابق، ج2، ص 290.

[4]-غرايسية: المرجع السابق ،ص 83.

[5]- علي يحي معمر : المرجع نفسه، ج2، ص 39.

[6] - إمام الدفاع: الظاهر ان هذا المنصب كان يوكل لامام له دراية بالشؤون الحربية و العسكرية للدفاع عن الارض لذلك سمي بهذا الاسم

[7]-غرايسية: المرجع السابق ، ص 84.

وهذا ما افترضه صاحب غصن البان الذي وضح لنا أهم الأساسيات بإشارته" هاته الجمهورية مؤلفة من اثني عشر نفرا يختارون من جميع العشائر منهم شيخ العزابة والإمام والمؤذن ووكيل الأوقاف ومؤدب الصبيان والمؤذن وغسلة الأموات، ومن ألاثني عشر أربعة عليهم المدار وهم أصحاب الحل والعقد"[1]، كما أشير إلى أن مجلس العزابة ومن حرصه على تأكيد سلطته أن اصدر عملة نقدية خاصة[2]، وذلك لإبراز جانب مهم من السيادة المالية.

أما عن الجانب العسكري للمدينة فالسؤال يطرح نفسه عن مدى قدرة وارجلان على صياغة منظومتها التسلحية، فإذا نظرنا إلى المجتمع الوارجلاني نجده من قبائل زناته كقبيلة بني توجين بسدراتة ومن المعروف أن زناته أكثرهم من الفرسان يركبون الخيل ولهم عادية لا تؤمن، حيث ذكر ابن خلدون على لسان احد زعماء زناتة " أما الدنيا والملك فنلناهما بسيوفنا[3]"، هذا ما قد يقودنا إلى أن وارجلان كانت لها قوة عسكرية خاصة بها وهذا ما قد تؤكده لنا بعض الصور التي وجدت في جذران احد البيوت "صورة ثلاثة رجال يحملون السيوف وخمسة فرسان يركبون المهري يحملون السيوف"[4]، السيوف"[4]، وهذا إنما يدل على تواجد فكرة التسلح لديهم، زيادة عن ذلك نذهب إلى الدرجيني الذي أكد أن "أبا خرز أرسل إلى ناحية الزاب و اريغ و وارجلان(...)يستنفرهم ويستمدهم(...)فخرجوا في قوة عظيمة".[5]

فلا بد أن وارجلان كانت لديها قوى عسكرية لا يستهان بها وساعدها على ذلك موقعها الحصين ورخاءها الاقتصادي فهذه المقومات تجعل منها صعبة المنال لغزو أعدائها

---

[1]- أعزام: المرجع السابق، ص 251.

[2]- علي يحي معمر، المرجع السابق، ج2، ص 297.

[3]- ابن خلدون: مقدمة كتاب العبر ،، نح: احمد جاد، مر :عبد الباري محمد الطاهر،دار الغد الجديد للنشر و التوزيع، القاهرة ، مصر،ط1، 2007، ص 147.

[4]- غرايسية : المرجع السابق ،ص 94.

[5]- الدرجيني : المصدر السابق ،ج1 ،ص128.

لها، وهذا أبوا الربيع سليمان بن يخلف(ت 471هـ/1079م)، ومن معه قد توجهوا إلى وارجلان إذ" تلقاهم جموع أهل وارجلان كلهم بأمرائهم وسلاحهم وهيأتهم ومن يليهم من منازل وارجلان بعدّة عظيمة عجيبة"[1].

فيذكر لنا احد الباحثين أن وارجلان خلال القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي قد أسندت لها الدولة الحفصية مهمة الإشراف وجمع الضرائب على منطقتي وادي ريغ ووادي مائة الواقعتين جنوبا.

وكانت وارجلان في هاته الفترة تنعم بالرخاء الاقتصادي لما كانت تدر عليها تجارة السودان من ذهب، و هذا جعلها عرضة لأطماع الأمراء ما فعله أمير بني مزني في بسكرة حيث شن غزوة على وارجلان سنة 673هـ/1274م، لكنه صادفها في حالة دفاع جد محكم كانت أبواب أسوارها مغلقة، والخندق المحيط بها مملوء بالماء والحرس في أعلى السور يتربصون بسلاحهم. وهذا دليل واضح على اهتمام المدينة بالجانب العسكري[2].

3.2. السياسة الخارجية:

عندما نتحدث عن السياسة الخارجية لوارجلان يعني أننا نتحدث عن علاقاتها الخارجية التي اكتسبت عدة صيغ سواء كانت علاقات ودية، أو عدائية فالارتباطات المذهبية والعلاقات التجارية ساهمت بتكوين العلاقات بين وارجلان مع محيطها الخارجي الخارجية[3].

ومن الطبيعي أن يكون ارتباط وارجلان بالمراكز الحضرية المجاورة لها والقريبة منها جغرافيا ومذهبيا كأريغ وواد سوف، ومن الممكن أن الحركة الفكرية والثقافية بأريغ شكلت أهم العوامل لتنمية العلاقات الثنائية بينها وبين وارجلان ومما يؤكد هذه العلاقة

[1]- أبوا زكريا : المصدر السابق، ص 274.
[2]- احمد ذكار: المرجع السابق، ص 53.
[3]- غرايسية : المرجع السابق، ص 107.

قوة التواصل من خلال الزيارات وانتقال الفتوى، فقد ذكر أبوا الربيع قائلا "سرت ذات يوم من تينيسلي إلى وارجلان فأوصاني أبوا عبد الله بن زوزتن أن أساله عن رجل اشترى ماشية عن رجل آخر، فتبين له ان الشاة التي في يده حرام" قال: "فوصلت وارجلان لاسال عن ذلك، فأفتى لنا أبوا صالح في دفئ سدراته"[1].

ويذكر احدا من ريغ انه وصل ذات مرة وارجلان، قال: "فرجعت للشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر رضي الله عنه، فقال لي: هل رأيت أبا يعقوب؟ يعني يوسف بن سهلون قال: فقلت له لا فقال: "انظر إلى هذا يا مزين، سافر إلى وارجلان و لم يصل إلى أبي يعقوب "فعظم ذلك علي"[2].

وان كانت هذه العلاقة الاجتماعية بين المدينتين غير رسمية إلا أنها كانت توحي بالصلة الوثيقة بينهما التي كانت اغلبها منقادة لسلطة الأعلام من المشايخ الداعين إلى ضرورة المحافظة عليها وتثمينها[3]، هذا بالنسبة إلى اريغ أما علاقتها مع بلاد السودان التي كانت، بمثابة العنوان الأمثل لتجسيد مدى قدرة وارجلان على المحافظة على طرقها التجارية بحكم مركزها التجاري، وانطلاقا من ذلك كانت هناك اتصالات بين سكان الشمال الإفريقي وقبائل السودان الغربي منذ القدم حيث لم تشكل الصحراء حاجزا يعرقل التواصل بينهما.

ومن هذا المنطلق نشير إلى أن المدن الصحراوية التي كانت تقع على طريق القوافل التجارية كانت بمثابة عواصم ثقافية وسياسية مهمة تتمتع بعلاقات خاصة مع ممالك السودان الغربي، وهذا القول ينطبق أيضا على وارجلان بحكم موقعها الجغرافي التي

[1]- أبو زكريا: المصدر السابق، ص 351.
[2]- المصدر نفسه ، ص 365.
[3]- غرايسية: المرجع السابق، ص 108.

كانت من المدن المستفيدة من أهميتها التجارية وهذا ما جعلها قطبا بشريا له تأثيراته على المجتمع بالدرجة الأولى[1].

أما العامل الآخر الذي مكن وارجلان من التواصل مع غيرها، هو الهجرات التي كانت سببها الفتن فيقول احد الباحثين "فتن وارجلان واضطراب أمورها أهون على المهاجرين من العيش بافريقية والمناطق الأخرى التي عاشت الحروب والصراعات بين الدول القائمة، أضف إلى ذلك رغبة الاباضية الفارين العيش قرب إخوانهم وتحمل ما يتحملونه من متاعب"[2].

ومن هذه الهجرات حركة أهل طرابلس إلى وارجلان عقب قحط كبير أصاب بلادهم بسبب الجفاف سنة 430هـ/1038م وعرفت هذه السنة باس (فرورار)[3]، كما انتقل إليها أهل تاغرويت[4] نتيجة اضطراب الأحوال الاقتصادية[5]، ولعل ذلك ما يفسر عمق العلاقات والتواصل خاصة أنهم يشتركون في نفس المذهب، وما يؤكد لنا هذه العلاقة الوثيقة التي كانت بينها وبين طرابلس ما ذكره الوسياني في نيل قوافل الحجيج الآتية من وارجلان رعاية خاصة من طرف أمير طرابلس[6].

ومما زاد من توافد المهاجرين إلى وارجلان الغزو الهلالي لبلاد المغرب نتيجة الخراب الذي أحدثوه في افريقية والمغرب الأوسط، بحكم عدم وصول الهلالين اليها حيث شهدت المدينة اكتظاظ كبير اثر قدوم الجماعات البدوية الزناتية، وعلى مدار نحو احد

---

[1]- غرايسية : المرجع السابق، ص 109.

[2]- مزهودي: المرجع السابق (الاباضية في المغرب الأوسط) ،ص 52.

[3]- مزهودي: جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام حتى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب(21-442ه/642-1053م)،مؤسسة تاوالت الثقافية، دط،2008 ،ص153.

[4]- **تاغرويت** : هي قرية مجاورة لمدينة نالوت بجبل نفوسة.ينظر: الشماخي ،المصدر السابق ،ص 400.

[5]- مزهودي: المرجع نفسه، (الاباضية في المغرب الأوسط) ، ص 53.

4- الوسياني: المصدر السابق،مج 2،ص ص 345-346.

عشر سنة اعتبارا من سنة 449هـ/1057" سار جماعة من أهل طرابلس إلى وارجلان ونواحيه بجماعة كبيرة، وكانت تلك السنة تسمى سنة الزيارة"[1].

ومن الجانب الآخر حرصت وارجلان على تأكيد هذا التواصل مع طرابلس فقد شد الرحال إليها بعض من مشايخ وارجلان مثل أبوا زكرياء يحي بت أبي بكر الوارجلاني الذي ترك وارجلان سنة 460هـ/1067م، وانتقل إلى بلاد طرابلس[2]، وهذا ما قد يفيد أن وارجلان كانت تتمتع بمقومات الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي مما مكنها من مد جسور من الروابط الخارجية لتأكيد أنها كانت كيان يحكم نفسه.

4. وارجلان أثناء ثورة ابي يزيد بن كيداد:

ينتسب يزيد بن كيداد لفرقة النكارية وهي إحدى التسميات التي أطلقها الاباضية من أتباع عبد الوهاب وقد نعتوا بالقبح في مذهبهم حيث قال عنهم أبوا زكرياء: "فصاروا يجتمعون ويتناجون فلذلك سموا بالنجوية"[3]، لأنهم أكثروا من النجوى[4]، ثم بعد ذلك اجتمعوا بكدية بحيال المدينة فاظهروا إنكار إمامة عبد الوهاب فسموا النكار وسموا الشغبية لإدخالهم في الإسلام الشغب. وسموا الملحدة حين ألحدوا في أسماء الله وسموا النكاثة لنكثهم بيعة الإمام بغير حدث[5].

ولقد اتخذت هذه المعارضة طابعا سياسيا في بداية الأمر برفض زعيمها يزيد بن فندين أبو قدامة النكاري إمامة عبد الوهاب وثاروا ضده ولقد تطورت هذه الفرقة التي انسلخت عن الاباضية الأم[6]، ثم ما لبث هذا الصراع أن تحول إلى طابع ديني وأصبحت

---

[1]- أبوا زكرياء: المصدر السابق ،ص 34.

[2]- غرايسية: المرجع السابق، ص111.

[3]-ابو زكرياء: المصدر نفسه ،ص 59.

[4]- مزهودي: المرجع السابق (جبل نفوسة...)،ص 166.

[5]- **صالح معيوف مفتاح**: جبل نفوسة و علاقته بالدولة الرستمية(من منتصف القرن الثاني الهجري إلى أواخر القرن الثالث الهجري)، مؤسسة تاوالت الثقافية ، دط ، 2006،ص 138.

[6] - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 37.

لها عقائد مناوئة عن المذهب الاباضي وعن الإسلام عموما منها أنهم قالوا "إن حجة الله لا تقوم إلا بسماع". وأنكروا عذاب القبر كما قالوا: "إن ولاية الله تتقلب بالأحوال وأن الإمامة غير مفترضة و لم تبلغه دعوة الإسلام ودعا إلى دين سماوي آخر لا يجوز له أن يجيب، وقالوا لا تجوز إمامة احد المسلمين وفي المسلمين أفضل منه، وهذا الشرط هو الذي خالفوا فيه الإمام عبد الوهاب ورفضوا الاعتراف بإمامته[1].

أما اعنف ثورة عرفتها النكارية هي ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد ابتدءا من سنة 322هـ/933م، وكان أبو يزيد من بني يفرن مسكنه بقلعة سداده، اعتبر من ملوك البربر وتسمى بشيخ المؤمنين[2]، اختلف في مولده بين من يذكر انه كان بقسطيلية[3]، ومن يذكره ببلد السودان ولعل الرأي الأخير ربما يستند إلى أن أمه كانت جارية سوداء ولان أباه كان يختلف إلى بلاد السودان في التجارة[4].

وكان في بادئ الأمر وهبيا وقد ذكر احد الباحثين انه وجد حجر مكتوب عليه "ثلاثة مفسدون في البلاد، شداد بن عاد، وفرعون ذي الأوتاد، ومخلد بن كيداد"[5]، ويذكر صاحب الأعلام انه" ثائر من زعماء الاباضية وأئمتهم، بربري الأصل كان يغلب عليه الزهد والتقشف"[6]، اشتهر هذا الأخير بالعلم حتى صار احد أئمة الاباضية النكار بالمغرب[7]، ولربما ركز جهده في التبحر في المذهب الاباضي الذي اخذ أصوله بموطن نشأته أين تعلم القرآن وخالط جماعة من النكار فتعلم مذهبهم الخبيث، وكان يعلم أولاد

[1]- مزهودي : المرجع السابق، ص 167.
[2]- ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص 217.
[3]- الزركلي : المصدر السابق ،ج 7 ،ص 194.
[4]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج 7، ص 16، ينظر ، ابن الأثير: المصدر السابق، ج6، ص 302.
[5]- أبو زكريا: المصدر السابق، ص.121.
[6]- الزر كلي: المصدر نفسه، ص 275.
[7]- ابن عذارى: المرجع نفسه ،ج 2 ،ص 16.

المسلمين، واعل هذا ما ساعده على أن يقيم توجهه المذهبي على أساس تكفير أهل الله واستباحة أموالهم ودمائهم[1].

ويذكر ابن خلدون أن اعتقاد أبي يزيد بشرعية الخروج عن السلطان كان السبب في خلافه مع الفاطميين وهو ما دفع بهم إلى اعتقاله وتم زجه في السجن[2] بمدينة توزر[3]، وبعد خروجه لحق بولديه فضل ويزيد ببلد بني واركلان وأقام بها سنة[4]، حيث كان يتنقل بين قبائل بني برزال بسالات[5] وبين قبائل زناتة بمنطقة الأوراس يدعوهم إلى مذهب النكارية، لمدة عام إلى أن استقر في الأوراس وقاد ثوراته من هناك[6].

ولقد هدفت حركة أبي يزيد إلى محاولة إقامة كيان مستقل حيث كانت تستند على ذلك إلى التباين المذهبي ولقد كان لوارجلان إسهاما في هذه الثورة من عدة أوجه مما أكد وثوق الصلة بها.

فصار لأبو يزيد جماعة يعظمونه وذلك في أيام المهدي سنة 316هـ/927م، واشتدت شوكته وازداد عدد أتباعه في أيام القائم ولد المهدي[7]. ويؤكد لنا ابن عذارى أن خروجه كان سنة 316هـ/927م"، ابتداء أمر أبي يزيد مخلد بن كيداد الزناتي، وهو رجل اخذ نفسه بمذاهب النكار، يحلل دماء المسلمين وخروجهم، ويسب علي بن أبي طالب رضي الله عنه"[8]، لكن بالمقابل نجد الداعي عماد الدين إدريس يشير إلى أن خروج" أبوا يزيد الأعور الدجال النكاري مخلد بن كيداد اللعين بجبل أوراس في

---

[1]- غرايسية: المرجع السابق، ص ص 97-98.

[2]- مزهودي:المرجع السابق ،ص 168.

[3]- **توزر**: هي من مدن قسطيلية و هي مدينة كبيرة عليها سور مبني بالحجر و الطوب،أما باقي مدن قسطيلية فهناك الحمة و نفطة،ينظر:البكري،المصدر السابق ،ص 48.

[4]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج 7، ص 16.

[5]- لم نقف على تعريف لهذه القبائل لكن من المرجح أنها قبائل بربرية كانت تساند بن كيداد في حربه ضد الفاطميين.

[6] - الياس حاج عيسى: المرجع السابق، ص 43.

[7]- ابن الأثير: المصدر السابق، ج1، ص 303.

[8]- ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص 193.

سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة"[1]، أيا يكن المنطلق أن ما اتفق عليه أن هذه الثورة شكلت بأحداثها تحركا تحكمت فيه عدة عوامل منها العامل المذهبي الذي كون مشاعر العداء للفاطميين إذ نجح أبو يزيد في تعميم ثورته، حيث قام باستمالة علماء السنة بدافع الدفاع عن الدين والقومية ولربما الموقف الذي قام به علماء السنة جاء كرد فعل على رفضهم للخليفة عبيد الله المهدي الذي أنهكهم بالضرائب[2].

وهذا ما يؤكد أن الجور الضريبي كان عاملا موحدا للإجماع على الثورة ضد الخلافة الفاطمية، لم يكتفي أبو يزيد بدعم علماء أهل السنة له فهدف إلى تامين الدعم الخارجي له وهذا ما فعله بحيث دعا لعبد الرحمان الناصر بالأندلس باعتباره خليفة المسلمين. وكان بينه وبين عبد الرحمن الناصر مكاتبة ومراسلة وهذا يدل على صب كل جهدهم للقضاء على الخلافة الشيعية ببلاد المغرب[3]، ومع كل ذلك اختطف الموت أبوا يزيد قبل أن يحقق اهدافه أما عن موقع وارجلان في هذه الثورة فأشار بوعصبانة "أن جيوش أبي يزيد مخلد بن كيداد الجرارة كانت تعتمد على واحات وارجلان أيضا إبان حملاتها المتعددة"[4]، وهذا ما ذهب إليه ابن خلدون بقوله: "وكان أبوا يزيد قد وفد ببلد بني واركلان، وأقام بها سنة وانتقل إلى جبل أوراس وإلى بني برزال وإلى بني زنداك من مغراوة إلى أن أجابوه"[5]، وهذا ما يدل على أن وارجلان كانت تشكل المورد الرئيسي لجيوش أبي يزيد وهذا بحكم بما كانت عليه من قوة اقتصادية بحيث كانت الملجأ والأرض المحروسة القادرة على تامين السلامة لكل وافد اليها فأبو يزيد لم يكن مضطرا إلى

[1]- الداعي عماد الدين إدريس: تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، تح محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1 ،1985، ص 264.

[2]- غرايسية: المرجع السابق، ص 99.

[3]- الداعي عماد الدين:المصدر السابق، ص ص 385-386.

[4]- بوعصبانة: المرجع السابق، ص 164.

[5]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج 7، ص 16.

الاختباء في جبل سالات أو التوغل في الصحراء، والالتجاء إلى سدراتة وغيرها من القبائل الاباضية المقيمة بوارجلان[1].

وحتى بعد وفاة أبي يزيد بقيت وارجلان محتفظة بدورها إذ أن أبا خرز أرسل إلى ناحية الزاب واريغ و وارجلان .. يستفزهم ويستمدهم، ويذكر يعقوب بن إسحاق أن رسل أبي خرز وصلت إلى أهل وارجلان فاستفزهم فخرجوا في قوة عظيمة وسلاح شاك"[2]، ونفس الرواية ذكرها أبي زكرياء الذي ذكر أن "الشيخ أبي خرز، رضي الله عنه، عقدوا له ولاية على الدفاع"[3]، ويؤكد الدرجيني أن أبوا محمد جمال المديوني مبعوث أبا خرز قد اقبل بإمداد من أهل ريغ ووارجلان في جموع عظيمة[4].

وتشير المصادر ان أبا يزيد استطاع أن يؤسس حكومة مؤقتة بوارجلان، وطبع فيها سكة ذهبية عجيبة في إتقانها وكانت حروفها في غاية من السبكة. وجدت مصادر صحيحة تثبت أنها ضربت بوارجلان، وإن كانت هذه الرواية وحيدة، غير واضحة المصدر، إلا أنها لا يمكن استبعادها أو الاستغناء عن إمكانية الأخذ بها مما كانت تتوفر عليه وارجلان من معدن التبر الذي سيشجع على الاستقلالية النقدية عن السلطة الفاطمية[5].

ومن هنا كانت ورجلان بمثابة الملجئ والمنجى للعديد من الثوار والفارين فكادت بذلك توصف بالمحروسه بحد قول الدرجيني في قوله: "توجه محبوبا وأبا بكر بم محمد من تين يسلي إلى وارجلان حرسها الله"[6].

---

[1]- غرايسية: المرجع السابق ، ص 103.

[2]- الدرجيني: المصدر السابق ،ج1 ص 128.

[3]- أبوا زكرياء: المصدر السابق، ج1،ص ص 201-203.

[4]- الدرجيني: المصدرنفسه، ج1، ص 130.

[5]- غرايسية: المرجع نفسه،ص 104.

[6]- الدرجيني: المصدرنفسه، ج1، ص 280.

وكانت الصراعات السياسية التي تحدث داخل الأسر الحاكمة خاصة بالمناطق شديدة التنازع في الشمال كانت تجد دائما صدى لها في الصحراء الواسعة ومنها وارجلان، وقد كان أهلها قد اكتسبوا من خلال سلوكهم هذا تقليدا أصبحوا فيه عنوانا للكرم. وهكذا استطاعت وارجلان بالرغم ما حل بها الحفاظ على الاستمرار في خوض غمار الحياة مجسدة قوتها وسلطانها.

الفصل الثالث: الحياة الاقتصادية لمدينة وارجلان

- **التجارة في مدينة وارجلان**
- **التجارة الداخلية**
- الأسواق و تعاملاتها
- الحسبة في أسواق وارجلان
- العملة النقدية في وارجلان
- **التجارة الخارجية**
- الطرق التجارية
- الواردات
- الصادرات
- **الزراعة و تربية الحيوانات في وارجلان.**
- الزراعة
- الرعي و تربية الحيوانات

تشير جل المصادر التي أرخت لمدينة وارجلان أن المدينة عرفت رخاء اقتصاديا كبيرا في ظل ما كانت تملكه من مقومات اقتصادية متنوعة[1].

وقد لعب الموقع الجغرافي لمدينة وارجلان الدور الهام في ازدهار اقتصادها ذلك أنها كانت محطة تجارية هامة، تربط اغلب المراكز التجارية الصحراوية لذلك نجد أن اقتصاد هذه المدينة قام على التجارة، كما كانت معبرا للقوافل المحملة بالبضائع المتنوعة والعابرة إلى المشرق والمغرب و بلاد السودان فالمدينة حسب ابن خلدون :"باب ولوج المسافرين من الزاب إلى مغّزة الصحراوية المفضية لبلاد السودان سكنها التجار والداخلون لها بالبضائع..."[2].

ولمزيد من التفاصيل تطرقنا إلى تجارة الداخلية والخارجية والزراعة والرعي في وارجلان .

[1]- بوقاعدة البشير:المخطوط الجزائري و دوره في الكتابة التاريخية ، غصن البان في تاريخ وارجلان نموذجا ، مجلة رفوف ، جامعة ادرار، العدد 3 ،2013 ، ص 237.

[2]- ابن خلدون:المصدر السابق، ج7، ص70.

أولا- التجارة في مدينة وارجلان

1.1. التجارة الداخلية

كانت وارجلان تشكل ميناءً صحراويا، راجت مختلف السلع والمنتجات، وتحقق هذا بفعل ما تمتعت به من امن نسبي وانعزال موقعها وقوة أهلها واتساع العمران حولها[1].

كما كانت تشكل المنفذ الرئيس بين التل في المغرب الوسط وبلاد السودان، وهو ما ساعد على استقرار الكثير من التجار المتنقلين من الجهتين وهذا ما اورده ابن خلدون[2].

وهذا ما جعل منها محطة تجارية ذات أهمية كبيرة، وكان من بين أهم أنواع التجارة التي مارسها سكان مدينة وارجلان تجارة الذهب فقد كانت هذه التجارة رائجة بشكل كبير بفعل التواصل المباشر مع بلاد السودان الغربي التي كانت تعتبر أهم مصدرة لهذه المادة و نتيجة الازدهار الكبيرة لتجارة الذهب وصل الأمر إلى ضرب النقود الذهبية بوارجلان، وهذا ما أشار إليه صاحب الاستبصار: "وتضرب ببلاد وارجلان دنانير على نوع المرابطين.."[3].

كما كانت أسواق مدينة وارجلان كثيرة تتوفر على مختلف السلع الصادرة من بلاد المغرب و الواردة من بلاد السودان كما تشير المصادر الجغرافية إلى أن سكان

[1]- عمار غرايسية :من ادوار الحضارية للمدن الصحراوية وارجلان نموذجا، مجلة الواحات، عدد15، ص415

[2]- ابن خلدون: المصدر السابق، ص62.

[3] - مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص244.

وارجلان كانوا أغنياء بفضل عملهم في التجارة و هذا ما يدل على أن التجارة الداخلية في مدينة وارجلان كانت مزدهرة[1].

1.2. الأسواق و تعاملاتها:

يشير الباحث مزهودي نقلا عن لوثيو أن سكان وارجلان كانت لهم الأحقية في إدارة التجارة بوارجلان[2]، وهذا بفعل ما كانوا يتمتعون به من خبرة في ممارسة التجارة على كون وارجلان بوابة رئيسية للتجارة مع بلاد السودان[3].

إن وارجلان بحكم اعتبارها نقطة وصل فهي محط رحال القوافل الوافدة من كل جهة ما بجعل حتمية وجود مخازن لإيداع السلع قبل تصريفها، ولا بد أن يكون هناك جزء من هذه السلع يوزع على مستوى وارجلان التي اشتملت على نقاط بيع وحوانيت أشار إليها الوسياني[4].

وبحكم الطبيعة الصحراوية، وما كانت عليه المسالك والمسافات خلالها، فقد تكون هذه الأسواق متباينة بين يومي موجه للتسوق المحلي وبين أسبوعي موجه للتسوق الخارجي بين وارجلان والجهات ذات صله بها[5]، كان التعامل في أسواق وارجلان في ميدان البيع والشراء يتم بطريقة حضارية جد راقية لا تختلف كثيرا عن المعاملات المعاصرة[6].

---

[1]- مسعود مزهودي ، المرجع السابق ،ص 156.

[2]- المرجع نفسه، ص 157.

[3]- ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص125.

[4]- الوسياني :المصدر السابق، ص 203.

[5]- عمار غرايسية : من ادوار الحضارية للمدن الصحراوية وارجلان نموذجا ، المرجع السابق، ص416.

[6]- مسعود مزهودي :المرجع السابق، ص 183.

وقد كان تجار وارجلان يتجولون في بلاد السودان حيث كان لهؤلاء التجار المتجولين دور كبير في تأكيد قوة وارجلان الاقتصادية حيث كانوا يجلبون التبر[1]، ويضربونه في بلادهم[2].

1.3. الحسبة في أسواق وارجلان:

أ. **تعريف الحسبة:** الحسبة كما يعرفها الماوردي: هي الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، والنهي عن المنكر إذا فعل[3]، وفي تعريف أخر هي فاعلية المجتمع في الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله تطبيقا لشرع الإسلامي[4].

ويقوم نظام الحسبة في جوهره على حماية محارم الله أن تنتهك، وصيانة أعراض الناس، والمحافظة على المرافق العامة إضافة إلى الإشراف العام على الأسواق وأصحاب الحرف والصناعات وإلزامهم بضوابط الشرع في أعمالهم و متابعة مدى التزامهم بمقاييس الجودة في إنتاجهم.

وكان المعروف في بلاد المغرب أن المحتسب يعينه القاضي ويجعل له مساعدين يساعدونه على محاربة الغش، أما عند الاباضية فان مجلس العزابة هو الذي يتولى أمور الحسبة في مواطن الاباضية[5].

ومن الأمثلة التي يقوم بها العزابة في هذا الجانب نجد:

- مراقبة البيع والشّراء في الأسواقِ ومحاربة صور الغشّ والخداعِ والتّحايل والاحتكار، وبصفة عامّة محاربة الانحراف في التّعامل بكلّ أشكاله.

---

[1] - **التبر** : هو فتات الذهب أو الفضة قبل أن يصاغ ،ينظر : المعجم الوسيط ، ص.81

[2] - مجهول :الاستبصار،ص244

[3] - الماوردي : الأحكام السلطانية و الولايات الدينية ، دار ابن قتيبة الكويت، ط198،1 9 ، ص408.

[4] - محمد كمال الدين :اصول الحسبة ي الإسلام ، دار الهداية ، ط1، 1986 ، ص16

[5] -مسعود مزهودي : المرجع السابق، ص176.

- فضّ النّزاعات التي تكون بين المتعاملين والشّركاء.
- قد يشرف العزّابة على عمليّة الجرد والتّقويم السّنوي للتّجارة، يتمّ هذا بطلبٍ من أصحاب المحلاّت التّجاريّة؛ ضمانًا لعدم الانحراف عن الدّين في التّعامل التّجاري؛ إذ العزّابي الذي يقوم بالعمليّة يعرف كيف يطبّق الشّرع في هذه العمليّة، وربّما صحّحَ بعض الأخطاء التي يكون قد ارتكبها التّاجر في تجارته، ثمّ بوجّهُهُ إلى الطّريق الصّحيح.[1]

ويشير ابن خلدون انه بعد سقوط الدولة الرستمية كان يزيد بن مخلد يقوم بالحسبة بنفسه في قوله : "اخذ نفسه بالحسبة على الناس و تغير المنكر"[2].

ويشترط في المحتسب أن يكون عارفا بالمكاييل و الموازين و النقود لأنه على أساسها تقوم المعاملات التجارية ،فلذلك ينبعي أن يعتمد في معاملات على الدينار والدرهم والمكيال و الميزان، فالدرهم يجب أن يكون موزونا محقق ليس فيه زيادة أو نقصان و يجب أن يكون الدينار مثقالا

وكان كل من اقترف منكرا يعاقب، وكانت الوسيلة التي كان يعاقب بها مرتكب الجناية تسمى "ازقور"[3]، وهي نفس الوسيلة التي كانت تستعمل لتأديب الأطفال في الكتاتيب[4].

[1]- مسعود مزهودي : المرجع السابق ، ص178.

[2] -ابن خلدون ،المصدر السابق، ص84.

[3]- **ازقور:** هي قضيب حديدي يقول الوسياني "قضيب حديد به حلقات يقال له ازقور فإذا اخذ من كان فيه حق جعل رجله في تلك الحية و الحلق فينقلب العمود على رجله لئلا يهرب و يعذب ،و يصيحون فيه صياح التيوس من شدة الالم"ينظر الوسياني مصدر السابق ص14

[4] -مسعود مزهودي : المرجع السابق:ص181

ويقول الاباضية انه إذا دخل الحرام إلى السوق كالخمر و غيرها من المحرمات فأنها تغلق ثلاثة أيام ثم تفتح.[1]

من هنا نستنتج أن نظام الحسبة ساهم بشكل فعال في تطوير التجارة داخل وارجلان وذلك راجع إلى التطبيق السليم لهذا النظام من طرف العزابة.

1.4. العملة النقدية في وارجلان:

كان سكان وارجلان في عهد الدولة الرستمية يتعاملون بالفلس الذي ضربه عبد الرحمن بن رستم بحكم التبعية المذهبية للدولة الرستمية، وبعد سقوط هذه الدولة، وسيطرت الفاطميين على كافة بلاد المغرب أصبح من الضروري التعامل بعملة الدولة الجديدة، فقد قام الفاطميون بضرب الدينار الذهبي و اشتهرت النقود التي ضربها المعز لدين الله الفاطمي حيث تعاملت بها كافة بلاد المغرب من أدناه إلى أقصاه، وكان الدينار الذهبي هو العملة التي يتعامل بها تجار في البيع و الشراء ولما انتقل الفاطميون إلى مصر ظل التعامل بالنقود الفاطمية و استمر ذلك إلى عهد باديس (439هـ/1047م)، و أيضا نجد أن العملة الفاطمية كانت متداولة في عهد بني حماد.

أما فيما يخص سكان وارجلان فمن المرجح إنهم تعامل بالدينار الفاطميين كما أنهم قامو بضرب عملة خاصة بهم، وهذا ما اشر إليه صاحب الاستبصار بان" ببلد وارجلان دنانير على نوع المرابطية لكنها نازلة في تحميل كثير،و الدنانير الورجلانية مشهورة "[2].

[1]- أبو زكرياء:المصدر السابق ،ص144

[2] -مجهول:المصدر السابق،ص244

ويذكر احد الباحثين أن ذهب السودان كان مكدسا بكبرى الحواضر من بينها وارجلان، حيث تضرب النقود الذهبية والفضية ولعل الرأي قد يساعد على قبول بحقيقة أن مسبكة وارجلان إنما هي رد فعل وتعويض عن خسارة التي مني بها الاباضية بسقوط تاهرت واضمحلال العملة الرستمية[1]، فمن غير القابل للتسليم بحسم ما يبدو أن تكون وارجلان مجرد جالبة للذهب كالاحمال على الجمال، من دون أن يكون لها منه نصيب تحدد من خلاله معاملاتها التجارية الموصوفة فيها، فالروايات التي تناولت جانبا من حركة الأموال توحي بوجود عملة نقدية متداولة.

يذكر الدرجيني عن أبي صالح جنون بن مريان أنه قال لأبي نوح الذي كان بجواره :"ادخل يدك في جيبي،تجد فيه صرة ، و فكها فوجد سبعين دينارا ذهبيا"[2].

أن أهل وارجلان لا يستبعد اعتمادهم على عملة خاصة بهم،و خصوصا بعد سقوط دولة الرستميين (296هـ/908مـ) إذ تشير المسكوكات التي عثر عليها أن ثقافة الاباضيين منذ دولتهم الأولى قامت على اعتماد عملة مرتبطة بقدرتهم على التحكم في الحركة التجارية و من ضمن النقود الاباضية المعروفة فلس عبد الرحمن ابن رستم ودنانير الخاصة بمخلد بن كداد [3].

إلى جانب التعامل بالدينار والدرهم كان التعامل أيضا بـ"السفانج" وهي عبارة عن أوراق مالية، كما اتبعو نظام المقايضة كما كانت هناك خطابات ضمان تستعمل في المعاملات التجارية الكبيرة خشية اللصوص و قطاع الطرق لأنها خفيفة

[1] -عمار غرايسية : من ادوار الحضارية للمدن الصحراوية وارجلان نموذجا ،ص 417

[2] -الدرجيني :المصدر السابق،ج1،ص144

[3] -عمار غرايسية :المرجع السابق،ص418

الحمل[1]، وكانوا أيضا يتعاملون بالقروض و الودائع و لا شك أن هذه القروض كانت تسجل وكان يحدد لها تواريخ للسداد[2].

2. التجارة الخارجية:

بحكم التواصل الجغرافي وتبادل المنافع، كانت تجارة وارجلان الخارجية أكثر نشاطا مع بلاد السودان التي استأثرت بحركة القوافل أمام محدودية الحركة التي شملت أيضا سجلماسة[3]، قصطالية، القيروان، جبل نفوسة ومصر التي كانت المنفذ لبلاد الشرق وأوربا عبر سواحل قلعة بني حماد والأندلس[4].

2.1. الطرق التجارية

وللتفصيل أكثر سنتطرق إلى أهم الطرق التجارية التي ربطت وارجلان بمحيطها حيث تميز وجود ثلاث اتجاهات طريق نحو الشرق يربط وارجلان بمصر مرورا بعدة مدن، وطريق إلى الشمال يربط وارجلان بأهم مدن المغرب الأوسط، وطريق الجنوب وهو الأكثر فاعلية يربط وارجلان بالسودان الغربي:

1) طريق الشرق:

يمتد هذا الطريق نحو الشرق إلى بلاد مصر، ويمر عبر شبكة من المدن المنتشرة على طول منخفضات الحضنة وتيهرت ويشمل وارجلان وسدراته وبني زاب،

---

[1] –مسعود مزهودي :المرجع السابق،ص189

[2]– المرجع نفسه، ص190

[3] –**سجلماسة**:هي إمارة واسعة امتد نفوذها في فترة حكم المدراريين إلى الغرب حتى مناطق درعة و أصبحت أكثر اتساعا في عهد المغراويين الذين بسطو نفوذهم على مناطق قريبة من فاس ثم أصبحت في ما بعدو ولاية تابعة لمختلف دول المغربية الكبيرة كالمرابطين و الموحدين ، تسمى الان تافيلافيت، ينظر :حسن حافظي العلوي :سجلماسة و إقليمها ،وزارة الأوقاف و الشؤون الدينية ، المغرب ،1997،ص23

[4]– عمار غرايسية : من ادوار الحضارية للمدن الصحراوية وارجلان نموذجا ،ص418

ويتجه من وارجلان إلى نفوسة التي تبعد عنها "اثنا عشر مرحلة"[1] ومن ورجلة إلى بلاد الجريد نحو أربعة عشر يوما ، و من بلاد وارجلان إلى غدامس نحو عشرين يوما في صحراء قليلة المياه[2].

هذه الطريق يقال عنها أنها كانت محل صراع بين مختلف القوى السياسية التي ظهرت بالمغرب الإسلامي منذ الادارسة والرستميين والاغالبة في القرن الثالث الهجري والصراع بين الادارسة و الفاطميين، في القرن الرابع الهجري، والفاطميين وأموي الأندلس وصنهاجة وزناتة في القرن الخامس هجري، بم سيطرت المرابطين في الغرب بعد ذلك، وكان هذا الطريق السبب المباشر لثراء الفاطميين بمصر بذهب السودان[3].

2) طريق الشمال

لهذا الطريق أهمية كبيرة حيث يربط وارجلان بأهم مدن المغرب الأوسط الشمالية التي شكلت سواحلها شبكة الموانئ التجارية نحو الأندلس وأوروبا، ووارجلان هي احد حلقات هذا الطريق الذي يمتد من السودان الغربي إلى الأندلس[4] ومن بين أهم الطرق نذكر:

وارجلان تاهرت: يعتبر هذا الطريق من الطرق المستعملة منذ وقت مبكر، إذ يرجع إلى عهد الدولة الرستمية وربما قبلها، فالمصادر تذكر أن الإمام الرستمي افلح بن عبدالوهاب[5]، (190هـ/805م،240هـ854م) قد سلك هذا الطريق في رحلته

[1] –ابن خلدون:العبر، ج6، ص231

[2] –الإدريسي :المصدر السابق،ص279

[3] – الطاهر طويل :المدينة الإسلامية و تطورها في المغرب الأوسط،المتصدر للنشر ،الجزائر ،2011،ص356

[4] –المرجع نفسه،ص356

[5] –الإمام افلح بن عبد الوهاب: هو الإمام أفلح بن عبد الوهاب ابن عبد الرحمن ابن رستم ثالث الأئمة الرستميين بويع في اليوم الذي توفي فيه والده، تولى الإمامة سنة 208هـ – 258 هـ الموافق لـ 823م –871م ، ينظر معجم الاباضية، المرجع السابق، ص62

إلى بلاد السودان وهذا ما يدل على وجود طريق مباشر بين تاهرت ووارجلان [1]، كما أن هذا الطريق يمر بواحة اريغ التي قال عنها الادريسي "ارض متسعة تكثر فيها البساتين، وتعقد بها سوق كبيرة كل يوم جمعة[2].

وتعتبر اريغ محطة رئيسية للمسالك بين تاهرت ووارجلان نظرا لتوسطها المسافة بين المدينتين بالإضافة إلى أنها مركز من مراكز التجارة المرتبطة ببلاد السودان.

يرى "ليفيسكي" أن طريق تاهرت وارجلان كان مستعملا منذ القرن الثاني الهجري (الثامن ميلادي) ثم ترك استعماله بعد سقوط الدولة الرستمية (296هـ/909م) لكن يبدو أن هذا الطريق ظل مستعملا وفقد اهميته إبان سقوط الدولة الرستمية [3].

طريق تاهرت وهران: يخرج هذا الطريق من تاهرت مرورا بمليانة ثم إلى تنس، وبعد مسافة ستة وثلاثين ميلا يتجه إلى قرية برشك ثم بعده إلى وهران التي تبعد بثلاثمائة ميل[4].

وارجلان – المسيلة: حدد الإدريسي مسافته بمسيرة اثنا عشر يوما[5]، ويشير أيضا البكري إلى أن وارجلان كانت لها طريق تربطها بقلعة بني حماد "بين وارجلان و قلعة أبي طويل مسيرة ثلاثة عشر يوما"[6]، ويمتد هذا الطريق إلى مدينة المسيلة القريبة من القلعة وقد تكون هذه الطريق في الكثير من الفترات قد تأثرت بصراعات سياسية وإعمال النهب التي قامت به قبائل بني هلال[7].

---

[1] –الشماحي : المصدر السابق، ص29

[2] –الإدريسي : المصدر السابق، ص 85

[3] –مسعود مزهودي، المرجع السابق، ص131

[4] – المرجع نفسه، ص ص 132 –148

[5] –الإدريسي المصدر السابق ص120

[6] –البكري :المصدر السابق،ج2 ص371

[7] –طاهر الطويل:مرجع السابق ص357

وارجلان تلمسان: يربط هذا الطريق وارجلان بقلعة ابن الجاهل وهي قلعة تقع جنوب تلمسان[1]، يقول البكري: "قلعة منيعة تكثر فيها الثمار والانهار، يتصل بها جبل وهي أول الصحراء ومنها يسافر التجار سواء إلى سجلماسة أو وارجلان ا والى القلعة "والبكري لا يذكر طول هذا الطريق[2]، ومن تلمسان تتفرع عدة طرق أهمها :

تلمسان–تنس: حدد الإدريسي المسافة بينهما بسبع مراحل[3]، وطريق يربط بين **تلمسان تلمسان و المسيلة** تبلغ مسافة هذا الطريق أربعة مراحل[4].

طريق تلمسان وهران: تبعد وهران عن تلمسان بمرحلتين كبيرتين ، وقيل ثلاثة مراحل، والطريق يخرج من تلمسان إلى وادي وارو الذي يبعد بمرحلة إلى قرية "تانيت" مرحلة، ومنها إلى مدينة وهران التي يصفها الإدريسي بانها كثيرة التجارة والبضائع بها أسواق مقدرة[5].

طريق تلمسان –تاهرت: تبلغ المسافة بين تلمسان وتاهرت مسيرة أربع مراحل حيث يخرج الطريق من تلمسان إلى نادرة بعد اجتياز مرحلة ثم يصل إلى قرية نداي ومنها إلى مدينة تاهرت التي تبعد عن نداي بمرحلتين[6].

هذه بعض الطرق التي ربطت وارجلان بمدن شمال المغرب الوسط إما ربطا مباشرا أو ربطا غير مباشر، وقد لعبت هذه الطرق دورا مهما في ازدهار التجارة الخارجية لمدينة وارجلان .

---

[1] –مسعود مزهودي: المرجع السابق ، ص139

[2] –البكري : المصدر السابق،ص77

[3] –الإدريسي: المصدر السابق، ص82

[4] – المصدر نفسه:ص86

[5] –مسعود مزهودي :المرجع السابق ،ص141

[6] –المرجع نفسه:ص148.

3) طريق الجنوب:

كان لوا رجلان دورا رياديا إبان حكم الدولة الرستمية حيث اتخذت وارجلان قاعدة كبرى وهمزة وصل لتجميع السلع وعبورها بين بلدان المغرب وبلاد السودان [1]، وتواصلت هذه العلاقات حتى بعد سقوط الدولة الرستمية أما عن أهم الطرق التجارية التي ربطت مدينة وارجلان بالسودان الغربي نذكر:

- **وارجلان كوكو:**

من أقدم الطرق التي ربطت وارجلان وكل بلاد المغرب الأوسط ببلاد السودان هو طريق وارجلان كوكو[2].

يقول البكري :"فان أردت من تادمكة إلى القيروان فانك تسير في الصحراء خمسين يوما إلى وارجلان" [3].

ويعرف ابن سعيد في كتابه الجغرافيا موقع كوكو حيث يذكر أنها تقع شرق نيل غانة، وهي منسوبة إلى صاحب البلاد[4]، ويرى اليعقوبي أن مملكة كوكو من أعظم الممالك السودان لذلك فان باقي الممالك تدين لها بالطاعة وأن كوكو اسم المدينة ذاتها[5].

ذاتها[5].

وكان ينطلق هذا الطريق من تاهرت و يصل إلى معظم موانئ المغرب الأوسط شمالا، ويمر بوارجلان وتادمكة وصولا للمملكة كوكو جنوبا وتعتبر تادمكة من المحطات

[1] -جودت عبد الكريم : المرجع السابق،ص266.
[2] -مسعود مزهودي :المرجع السابق ص18.
[3] -البكري: المصدر السابق،ص 182.
[4] -ابن السعيد:المصدر السابق، ص93.
[5] -مسعود مزهودي، المرجع السابق:ص145.

الرئيسية على هذا الطريق يقول عنها البكري :"مدينة كبيرة أحسن بناء من مدينة غانة"[1].

وقد لعبت المدينة دورا كبيرا في الحركة التجارية منذ وقت مبكر نظرا لوقوعها على الطريق الأوسط عبر الصحراء لذلك استقر فيها العديد من التجار المغاربة ويذكر أن اغلب سكانها برابره مسلمون[2].

ويشير احد الباحثين الى أن العلاقة بين وارجلان ومدينة كوكو قديمة بحيث تمتد إلى عهد الدولة الرستمية، حيث أن عهد الإمام افلح امتاز بتوثيق علاقات تيهرت بعدد من ممالك بلاد السودان وفي مقدمتها مملكة كوكو التي تبعد عن تاهرت مسافة ثلاثة اشهر وكانت القوافل التجارية تذهب إليها، وخصوصا من وارجلان[3].

- **وارجلان غانة[4]** :

يشير أبو زكرياء أن: "المسافة بين وارجلان وغانة مسيرة ثلاثيين يوما"[5]، بالإضافة إلى مسلك تادمكة هناك مسلك ثاني يقع إلى الغرب منه يتجه إلى غانة والذي يتزامن في حركته التجارية مع المسلك الأول وقد وصف هذ الطريق بطريق الذهبل لكونه ينتهي (بنقارة)[6]، ويخرج هذا الطريق من وارجلان مرورا سجلماسة هذا ما يعرف بالجزء الاول من الطريق[7].

---

[1] -البكري: المصدر السابق ص182.

[2] -مسعود مزهودي :المرجع السابق،ص146

[3] -الحاج عيسى الياس:المرجع السابق ،ص ص 83،82

[4] **غانة:** هي أول إمبراطورية ظهرت في السودان الغربي ، أخذت اسمها من أسماء ملوكها ، وشملت رقعة جغرافية واسعة جدا من جنوب موريتانيا و شرق السنغال و جزءا من مالي و غينيا، ينظر احمد ذكار، المرجع السابق ، ص65

[5] - أبو زكرياء: المصدر السابق،ص 89

[6] - نقارة : مدينة اشتهرت بوفرة ذهبها كان يقصدها تجار وارجلان و هي محاذية لكوكو، ينظر:احمد ذكار : المرجع السابق،ص69

[7] - مسعود مزهودي المرجع نفسه ص151

أما فيما يخص الجزء الثاني فهو ما يربط سجلماسة بغانة، ويذكر البكري ثلاث محطات رئيسية هي "تادملت"، "ايزل"، "اودغست" وذكر أن المسافة بين سجلماسة واودغست خمسين مرحلة و مسيرة شهرين [1]، أو الإدريسي يقول: "أما المسافة بين اودغست وغانة فهي ثلاثة عشر مرحلة وبين اودغست ووارجلان إحدى وثلاثون مرحلة".[2]

من هنا نستنتج أن المسافة بين وارجلان وغانة أربعة وأربعون مرحلة وهذا استنادا إلى ما جاء به الإدريسي.

كانت مدينة غانة ملتقى للطرق التجارية الصحراوية، وقد وصفها ياقوت الحموي بأنها مدينة كبيرة في جنوب بلاد المغرب القريبة من بلاد السودان فيها يجتمع التجار وينتقلون إلى بلاد التبر وبدون المرور على هذه المدينة يصير السفر مستحيلا لأنها تحتل موقعا منعزلا بالنسبة لبلاد وبلاد السودان فمنها يتزودون بالمؤن[3].

- **وارجلان غيارو:**

على نفس المسلك السابق يواصل تجار وارجلان رحلتهم البرية إلى أعماق السودان الغربي من جهته الجنوبية الغربية بحثا عن الربح، حتى يصلوا إلى مدينة الذهب التي قويارة أو غيارو[4]، ويذكر البكري أن أفضل الذهب في مملكة غانة يوجد في غيارو، وهي تبعد عن عاصمة المملكة بمسيرة ثمانية عشر يوما في بلاد عامرة بقبائل

[1] – مسعود مزهودي المرجع السابق :ص152

[2] الإدريسي: المصدر السابق ص32

[3] مسعود مزهودي :نفسه، ص 154

[4] احمد ذكار : المرجع السابق ،ص 70

السودان، ويصفها بقوله "انه من غانة إلى سامنقندي أربعة أيام: وبعدها ثلاثة أيام يصل الطريق إلى غيارو"[1].

هذه لمحة عن أهم الطرق التجارية التي ربطت وارجلان بمحيطها شرقا وشمالا وجنوبا .

4) القوافل التجارية

أما فيما يخص القوافل التجارية فوارجلان كانت مركزا لتحركات القوافل في كل اتجاه حيث خرج منها أوالتقى بها أكثر من عشرين اتجاها من الشمال ومن الجنوب، ولعبت القوافل البربرية المساندة للوارجلانيين دورا كبيرا في السيطرة على الطرق التي تتجه أو تخرج من وارجلان مثل هوارة و نفوسة[2].

يجمع جل المؤرخين الذين أرخو لمدينة وارجلان أن السبب الرئيسي في ازدهار وتطور هذه المدينة هو ما يعرف بتجارة العبور، وكانت الحركة الدؤوب من هنا ومن هناك عاملا مثيرا لسكان لكي ينشطوا في شتى المجلات الاقتصادية و خاصة التجارة.

فوارجلان كانت تستقدم مختلف السلع والمنتجات لتنقلها عبر القوافل التي كانت تحتوي على عدد من الجمال التي كانت تعد سفن الصحراء في مختلف الاتجاهات إذ تنقل صفائح النحاس وقطع الحديد وأدوات مصنعة مثل الإبر براغي والبذور والنمور وتحمل إليها القوافل أنياب الفيلة وجلود الاحمرة الوحشية وجلود مطرزة قادمة من بلاد السودان أما القوافل المشرقية فتعود محملة بالتوابل والكافور والحرير، إلى جانب التحف المشرقية

[1] البكري : المصدر السابق،ص 177

[2] الحاج عيسى :المرجع السابق،ص87

والأحجار الكريمة والكتب وعلى العموم فان تجارة القوافل كانت أرباحها وافرة حتى أن رحلة أو رحلتان تكفي التاجر ليستغني [1].

لكن كانت هناك مشاكل ومخاطر تواجه القوافل في رحلاتها خاصة بالصحراء لعل أبرزها:

- ندرة المياه في الصحراء: بسبب المناخ القاري الجاف الذي يسود المنطقة حيث كان اجتياز الصحراء آمرا شاقا على التجار و دوابهم فإذ نفذ مخزون المياه أصبحت القافلة مهددة بالموت عطشا[2].
- التيه في الصحراء بسبب نقص خبرة الدليل في بعض الأحيان بالمسالك وطرق القوافل التجارية ، هذا ما يؤدي إلى الزيادة في مدة الرحلة ، أو هلاك عناصرها.
- التعرض للزوابع الرملية التي تهب بين الحين والآخر، فتؤثر على سير القافلة، فتذهب معالم المسلك ، وتشوش على عناصر القافلة طيلة هبوبها التي تستمر في بعض الحالات إلى أسبوع كامل.
- بعض الأماكن في الصحراء لا يوجد بها العشب الطبيعي ، هذا ما يؤدي بمسير بالقافلة أن يقدموا للجمال الشعير والحبوب التي تكون معهم.
- تتعرض القوافل التجارية في كثير من الأحيان إلى هجمات اللصوص وقطاع الطرق[3].

[1] عمار غرايسية : من الأدوار الحضارية للمدن ، ص420

[2] حاج عيسى: المرجع السابق، ص89

[3] ذكار :المرجع السابق، ص81

- تدفع رسوم وضرائب عالية في مواقع كثيرة من المسالك لحمايتها وتوفير الأمن لها طيلة وجودها على ترابهم، وإذا ما حدث وتم الاعتداء على القافلة تقوم الجهة الحامية بملاحقة العصابة و استرجاع ما سلب منهم.
- تتعرض في بعض الأحيان الجمال إلى أوبئة طارئة تفتك بعدد كبير منها هذا مايؤثر سلبا على عملية شحن البضاعة إلى السودان[1].ل
- مواجهة هذه المشاكل عمد أصحابها إلى:
- تسليح القافلة للدفاع عن نفسها من المهاجمين.
- تزويد القافلة برجال أقوياء و يتم تنويع انتماءاتهم القبلية حتى يقل أعداء القافلة.
- إلزام القبائل التي تستفيد من الضرائب التي تجنيها من القافلة بضرورة حماية القافلة و إرشادها.
- اتخاذ أدلاء أوفياء عارفين بالمسالك و الطرق و مواطن العصابات.

2.2. أهم السلع الواردة و الصادرة :

– الواردات:

– الذهب: كانت أهم سلعة مستوردة من السودان هي الذهب فاغلب الذهب الذي كان في اودوغشت وغانة ونقارة كان يجلب إلى وارجلان أو غيرها من البلدان مرورا بها[2]، يصف البكري ملك غانة: "وملكهم يتحلى بحلي النساء في العنق والذراعين ويجعل على رأسه الطراطير المذهبة ..."[3]، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على غنى هذه

[1] احمد ذكار : المرجع السابق، ص81.
[2] سلمان بوعصبانة : المرجع السابق، ص178
[3] البكري : المصدر السابق، ص 175

المنطقة بالذهب وأمام كثرته ورخصه في السودان الغربي غلى ثمنه في دول المغرب الإسلامي وهذا ما جعل سكان وارجلان يسارعون لهذه التجارة المربحة [1].

يقول الإدريسي واصفا وارجلان و تجارها:".. هي مدينة فيها قبائل مياسير و تجار أغنياء، يتجولون في بلاد السودان إلى بلاد غانة، وبلاد نقارة، فيخرجون منها التبر ويضربونه في بلادهم باسمهم..."[2]، وكانت القافلة التي تذهب إلى بلاد السودان تضم عشرات الجمال كلها محملة بالبضائع، فلا تعود إلا بعدد قليل منها لكنها محملة بما هو اغلي واثمن من الذهب والمعادن ثمينة وعندما يفيض نهر النيجر، يأتي السود إلى جزيرة ونقارة لجمع الذهب وتكون معظم المبيعات لتجار وارجلان وتجار المغرب الأقصى[3].

- **العبيد:** تعد وارجلان سوق من عشرات الأسواق النخاسة، وجسر يمر عبره حشود من العبيد ولعل الأراضي الزراعية المحتاجة إلى اليد العاملة وقصور الملوك ودور الأغنياء كانت السبب في طلب المزيد من هؤلاء العبيد [4]، وكانت أهم سلعة يوفرها تجار وارجلان لمدن المغرب العبيد ذلك أن تجارة الرقيق كانت رائجة خاصة خلال عصر الدولة الفاطمية حيث كان يستخدم العبيد في الجيش الفاطمي[5].

[1] بوعصبانة :المرجع السابق، ص179

[2] الإدريسي: المصدر السابق، ص108

[3] الحاج عيسى: المرجع السابق، ص 97

[4] بوعصبانة: المرجع السابق،ص183.

[5]- مسعود مزهودي:المرجع السابق،ص168.

كما كانت هناك سلع كثيرة تستوردها وارجلان نذكر منها الجلود، العاج، بيض النعام، النحاس، الشب، القديد، الفول السوداني، الحنة، الصمغ، الجبن المجفف التوابل[1].

وقد قمنا بذكر الذهب و العبيد لأنهما أهم سلعتين كانت تستوردهما وارجلان من بلاد السودان الغربي ، و تعيد بيعهما في مدن المغرب الإسلامي و الأندلس.

- **الصادرات:**

انقسمت إلى قسمين: منها ما هو منتج محلي، وسلع أخرى تجلب من عدة مناطق من المغرب و تصدر بعد ذلك لبلد السودان أهمها:

- **النمور:** عرفت وارجلان بإنتاجها للتمور، وتعتبر هذه المادة أقدم بضاعة صدرت إلى بلاد السودان[2]. ويشير ياقوت الحموي واصفا وارجلان: "إن وارجلان كورة بين افريقية وبلاد الجريد، ضاربة في البر كثيرة النخل والخيرات"[3]. فكانت التمور تشكل نسبة كبيرة من مجموع بضائع القافلة، فهي من الأحمال الكبيرة التي تجلب إلى بلاد السودان.

كما نجد أن بلاد السودان كانت تشتكي من قلّة إنتاج التمور ما ساهم في ازدهار تجارتها و تصديرها، من وارجلان إلى بلاد السودان خاصة و بقية المدن المغرب عامة[4].

[1]- احمد ذكار : المرجع السابق،ص117

[2]- احمد ذكار :المرجع السابق،ص111

[3] -ياقوت الحموي : المصدر السابق ص457

[4] - حاج عيسى:المرجع السابق، ص94.

- **الملح**: يشير ابن حوقل إلى حاجة بلاد السودان للملح فيقول: "كانوا في حاجة ماسة إلى هذا الملح..."[1]، فكانت هناك الكثير من الممالح التي تزود السودان بالملح، وكانت وارجلان تمثل الوسيط بين هذه الممالح وبلاد السودان ويحتمل أن تكون السباخ الموجودة بوارجلان أماكن لتجميع الملح وبيعه، يورد الشيخ أبو يوسف بن إبراهيم الوارجلاني[2]، فتوى صدرت فيمن يسرق الملح من وارجلان، وهو في السودان أن عليه برّد قيمته أو إرجاعه إلى موضع الذي اخذ منه[3].
- **الأقمشة و المنسوجات** :تعد وارجلان من الحواضر الصحراوية المتميزة في ميدان المنسوجات، وذلك لتوفر صوف الأغنام، ووبر الجمال وشعر الماعز، وكانت عملية النسيج و الحياكة تتم بمنساج تقليدي داخل المنازل في غالب الأحيان تقوم بهذه العملية النسوة وتسوّق محليا، والفائض منها يصدر عن طريق القوافل إلى بلاد السودان الغربي ومن أهمها العباءات الصوفية والبرانس الوبرية والأغطية وبعض الألبسة الخفيفة[4].

- **الكتب :** لقد كانت الكتب المخطوطة من البضائع الهامة التي تصدر من شمال الصحراء إلى جنوبها.
- **بضائع الزينة و الرفاهية:** ما يميز هذه المنتجات أن اغلبها لا ينتج في وارجلان بل يستورد من القيروان وقسنطينة وبجاية وسكيكدة، ومن البلدان الأوربية ومنها العطور بمختلف أنواعها و شاش العمائم...[5].

---

[1] – ابن حوقل:المصدر السابق، ص95.

[2]- **أبو يوسف الو رجلاني:**صنفه الدرجيني ضمن الطبقة الثانية عشر ، وهو من اشهر علماء وارجلان الذين خلدون ذكرها و رفعوا شانها و قال عنه الدرجيني :"هو بحر العلم الزاخر المسخر للنفع الجامع لكل امة : ينظر الدرجيني: المصدر السابق،ص491

[3] – بوعصبانة : المرجع السابق، ص183.

[4] – احمد ذكار:المرجع السابق،ص113.

[5] –المرجع نفسه،ص ص 115–116

- **الحيوانات** :نخص بالذكر، الحيوانات العاملة مثل: البغّال فقد لقي هذا النوع من الحيوانات رواجا كبيرا في أسواق السودان، وفي كثير من الأحيان يبيع التجار الجمال التي انو عليها بسب طول المسافة وكبر السن فيشتري التجار بدلا منها جمالا وبغالا تكون أكثر صحة وقوة[1]، هذه أهم السلع التي كانت وارجلان تقوم بتصديرها خاصة إلى بلاد السودان.

[1] -حاج عيسى : المرجع السابق ص 95

ثانيا: الزراعة وتربيه الحيوانات في وارجلان:

1. الزراعة:

عرفت مدينة وارجلان وسدراتة وبلاد أريغ، نشاطا زراعيا ملحوظا، خاصة أن متطلبات الزراعة من مياه جوفية وأراضي خصبة و اليد العاملة المتمثلة في العبيد، كانت متوفرة وقد اشتهرت وارجلان بوفرة المياه الباطنية، فكانت عملية حفر الآبار مكلفة نوعا ما لصعوبة الأرض و عمق المياه الذي يبلغ مئة قامة، ويلاحظ أن المزارعين حفروا أبارا لأنهم كانوا مياسير أغنياء.

وارتبطت الفلاحة في واحة وارجلان ارتباطا وثيقا بمدى وفرة المياه الجوفية وقد وصف الجغرافيون كابن سعيد وياقوت الحموي وارجلان بأنها مدينة كثيرة النخيل والمزروعات، وقد ذكر مسعود مزهودي، نقلا عن صاحب كتاب الألواح أن رجلا بعث إلى ابن عمه جنون بن مريان يطلب منه القدوم إليه، وترك البلاد الفقيرة –أي وارجلان–رفض وقال له: "بادرني يمن معك فان قبلنا أرضا قعدة رجل تعي الجمال، واردا بذلك النخلة[1]، هذا يدل على أن وارجلان كانت بلد زراعة أما، فيما يخص أهم المزروعات في وارجلان نذكر:

- **النخيل**: يصف ياقوت الحموي وارجلان بأنها كورة بين افريقية وبلاد الجريد ضاربة في البر كثيرة النخل و الخيرات[2]، كما اشتهر الشيخ صالح بكثرة جنانه فنجد أن الدرجيني أشار إلى ذلك: "فكان عند جني التمر يجعلها صبرات حتى أن الواقف خلفها لا يرى المار أمامها"[3].

[1] –مسعود مزهودي:المرجع السابق،ص126

[2] – ياقوت الحموي:المصدر السابق، ص371

[3] – الدرجيني :المصدر السابق،ص222.

يضيف ابن بطوطة واصفا وارجلان بانها مدينة صغيرة لكنها متحضرة اشتهرت بوفرة نخيلها و غلاتها..."[1].

من العوامل التي ساهمت في انتشار هذه الزراعة:

- توفر المنطقة على طبقات هائلة من المياه الجوفية .
- المعرفة الواسعة للسكان بتقنيات زرع النخيل[2] .
- **الزيتون:** إلى جانب أشجار النخيل كانت توجد أشجار الزيتون فنجد أن عبد العزيز سالم أشار إلى ذلك بقوله: "أن منطقة وارجلان اشتهرت الجانب كثرة نخيلها بكثرة زيتونها"[3].

يروي الدرجيني عن حصار عبيد الله الشيعي جبل كريمة اثر فرار أهل وارجلان إليه، انه انتظر استسلامهم بعد العطش ونفاذ الماء، فعمد هؤلاء إلى الحيلة لإيهامه بان وضعوا أواني مملوءة زيتا فكلما أتت الجمال لتشرب منها رفعت رأسها عنها تتطاير قطرات الزيت، وحينما رأى العدو ذلك فك الحصار ورجع خائبا[4]، ويرجح بوعصبانة أن هذا زيت زيتون، وهو من إنتاج المنطقة وبهذا تكون وارجلان لا تقل أهمية عن بسكرة وبلاد الجريد ولا تقل غنى في ثروات النخيل والزيتون والفواكه[5].

أما عن باقي المنتجات فيذكر ابن خلدون في مقدمته: أن معظم الفواكه التي تصدر إلى بلاد السودان هي من صحراء توات، ووارجلان ولا تذكر المصادر إن كانت هذه

---

[1] – ابن بطوطة محمد بن عبد الله : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار بيروت للطباعة والنشر لبنان، 1980 م، ص281.

[2] – حاج عيسى: المرجع السابق، ص68.

[3] – عبد العزيز سالم:المرجع السابق، ص 576.

[4] – الدرجيني :المصدر السابق، ص95 .

[5] – بوعصبانة: المرجع السابق،ص192

المنتجات من وارجلان أم أن التجار يقومون بشرائها من مدن الشمال ثم يعيدون بيعها في بلاد السودان[1].

أما بالنسبة للحبوب والخضر فان الفلاحين كانوا يزرعون الأرض مرتين مرة في الشتاء ومرة في الصيف، حيث كانت هذه الحبوب تزرع بين النخيل في الصيف حتى لا تتضرر بأشعة الشمس، أما في فصل الخريف فكانت زراعة الحبوب على نطاق أوسع، وينطبق الأمر على الخضر الموسمية الشتوية مثل: البصل، الثوم، الخس أما الصيفية كالبطيخ المحلي، الطماطم الفلفل ..[2].

- الرعي و تربية الحيوانات:

من بين أهم الحيوانات الصحراوية المعروفة الابل التي كانت لها قيمة كبيرة خاصة أن أهل وارجلان كانوا يعتمدون عليها في أسفارهم وتجارتهم، وتعد الوسيلة الأساسية لنقل السلع والبضائع إلى المراكز التجارية واستعملت أيضا في مجال الزراعة لجلب المياه من الآبار[3].

وتعد الابل الثروة الحيوانية رقم واحد في وارجلان لذلك كانت تذبح بأعداد كبيرة في مختلف المناسبات، كما أن مسألة الرعي للجمال لا تشكل مشكلة لأنها تكتفي بما تجده من نباتات في البيئة الصحراوية[4].

كما اهتم سكان وارجلان أيضا بالخيول حيث يذكر الدرجيني أبا خزر اجتمعت له جموع في أعداد كثيرة خيلا ورجلا[5] ، واستعملت الخيول في الثورات التي

[1]- مسعود مزهودي: المرجع السابق،ص129

[2]- حاج عيسى: المرجع السابق، ص ص72-73

[3]- بوعصبانة :المرجع السابق،ص172.

[4]- الحاج عيسى: المرجع السابق، ص 77

[5]- الدرجيني المصدر السابق،ص 132

شاركت فيها وارجلان مثل ثورات التي قامت اثر قيام الدولة الفاطمية ومن العوامل التي ساعدت على الاهتمام السكان بالخيل هي :

- وسيلة حرب و قتال.
- مركب لحماية الحجيج و القوافل التجارية.

لكن نجد أن الخيول لا تتحمل مشاق الصحراء و الجوع عكس الابل. ونجد أن السكان قد اهتموا أيضا بتربية الماشية لأنها كانت توفر حاجياتهم من الحليب و الألبان حيث تعتبر الأرض المحيطة بوارجلان من الأراضي الرعوية.[1] خاصة الماعز لانها تتحمل العطش و الحرارة مقارنة بالاغنام و لا يزال الاهتمام بها الى يومنا هذا

ويشير بوعصبانة أن الرعي كان قليل الأهمية من الناحية الاقتصادية و لا يصلح إلا مع توفر الشروط المناخية ،حيث أن الصحراء تنعدم فيها هذه الشروط فان هذه الحرفة لا يرجو منها فائدة كبيرة و قد احتفظ بها أهالي وارجلان لتامين معاشهم وإكرام ضيفهم [2].

[1]- حاج عيسى:المرجع السابق، ص78 .

[2]- بوعصبانة:المرجع السابق،ص .200

خاتمة

عدت مدينة وارجلان من أهم الحواضر الصحراوية التي برزت بقوة خلال العصر الوسيط، حيث تجلى لنا أنها من الحواضر العتيقة و الضاربة في القدم بمنطقة صحراء المغرب الأوسط، ترجعها معظم المصادر والمراجع إلى فترة ما قبل التاريخ، سكنتها عبر التاريخ أجناس بشرية متعددة الأعراق من بينها البربر والعرب والزنوج، مما أهلها لأن تكون مركزا مهما في التطور الحضاري الذي انعكس على جميع مجالات الحياة، وقد تجلى ذلك من خلال:

- موقعها الاستراتيجي الذي جعلها محط أنظار الدول التي قامت في بلاد المغرب الإسلامي فاتخذها الاباضية منذ القرن (2هـ/8مـ) كحاضرة مرتبطة بالدولة الرستمية أولا، ثم وريثتها بعد سقوطها.
- استوطنتها قبائل عدة مثل بني واركلا الذين نسبت إليهم، وسدراتة مغراوة وغيرها من القبائل التي احتضنت المذهب الاباضي، و تفاعلت مع الأحداث السياسية في بلاد المغرب.
- بحكم بعدها عن المناطق الحضارية في الشمال استطاعت أن تنأى بنفسها عن كثير من الاضطرابات السياسية، و استطاعت أن تحتفظ باستقلالها الذاتي عن الدول المتعاقبة على بلاد المغرب الإسلامي، و تكون لنفسها وحدة لها طابعها و خصائصها السياسية و الاجتماعية و الثقافية، و يبدوا أن من استوطن وارجلان من المعارضين للفاطميين اتخذوها مقاما مستقلا سياسيا و اقتصاديا.
- ارتباط تاريخ وارجلان بالمذهب الاباضي منذ دخوله إلى بلاد المغرب بداية من القرن الثاني الهجري، حيث تمثل ذلك في اشتراك أهلها في بعض حركات الاباضية خلال عصر الولاة حتى استطاع الاباضية إقامة دولة إسلامية وفق تعاليم المذهب و هي الدولة الرستمية في تاهرت عام (**160هـ – 777 م**)، حيث مثلت الدولة الرستمية إمامة الظهور لكل اباضية بلاد المغرب مثل وارجلان، التي ارتبطت بها بعلاقات دينية و تجارية

وثقافية أكثر منها سياسية،إذ حافظت وارجلان على استقلالها رغم تلك العلاقات،وقد ساعد ذلك الاستقلال و الموقع الجغرافي المتميز لها أن تكون ملاذا لآخر الأئمة الرستميين يعقوب بن افلح بعد سقوط الدولة الرستمية.

- احتضانها للفارين من الاضطهاد العبيدي الشيعي في نهاية القرن الثالث الهجري مطلع التاسع ميلادي بعد سقوط الدولة الرستمية، هذه الهجرة أعطت زخما كبيرا للحضارة و الثقافة العربية الإسلامية بالمنطقة،حيث شيدت مدينة سدراته، و أنجبت العديد من العلماء، و أنتجت الكثير من الكتب.
- تعرضها إلى حملات عسكرية عديدة بسبب غناها و موقعها الجغرافي الاستراتيجي الهام فهي بوابة السودان و سوق للذهب و العبيد فالكل كان يطمع في ضمها لكيانه، كتعرضها لغزو الفاطميين سنة 297هـ/909م.
- عدم انسجام وارجلان مع الدول التي أعقبت الدولة الرستمية فاشتركت ضدها في العديد من حركات المعارضة، و اشتعلت بها أيضا ثورات باءت بالفشل في النهاية مما حدا بأهلها إلى الإقلاع عن تلك الثورات، و التفكير في إعادة إقامة إمامة جديدة، و محاولة التأقلم مع الظروف الجديدة؛ فعمدوا إلى إيجاد بديل لحفظ تعاليم المذهب؛ فتمخض عن ذلك ميلاد هيكل تنظيمي متميز يتولى إدارة شؤون المجتمع الاباضي في غياب الدولة، و هو ما عرف بنظام العزابة أو حلقة العزابه.
- أما دورها الاقتصادي فظهر في إشارات مقتضبة عن الزراعة و الثروة الحيوانية فبرغم أهمية وارجلان كوسيط تجاري إلا أنها اقتصرت على قيام أهلها بالعمل التجاري و أهم السلع التي تنقلها بين مدن المغرب و بلاد السودان.
- من امتيازاتها الفلاحية أنها تتوفر على منتوج زراعي هام تمثل في التمور التي عدت من أجود الأنواع كان ذلك بفضل مخزونها الهائل من المياه الجوفية، بالإضافة أنها تعد منطقة

عبور لذلك حظيت بأكبر سوق تجارية، تتجمع فيها مختلف البضائع القادمة إليها من مناطق شتى جعلت بها حركة تجارية نشيطة.

- كما كانت وارجلان منطقة سير القوافل التجارية إلى المناطق الأخرى خاصة منها ما بين الشمال والجنوب، لذلك كان لنظام القوافل أهمية بالغة حرصا على السير الحسن للرحلة التجارية، كما ساهمت وارجلان كونها مركز تجاري في ربط مختلف الجهات بعلاقات اقتصادية لذلك عدت همزة وصل بين مختلف هاته الجهات.
- كما أن الاباضية كغيرهم من المسلمين كانوا أصحاب دعوة حضارية جمعوا بين التجارة و الدعوة للإسلام حيث أسهمو في تبليغه إلى مختلف مناطق بلاد السودان ؛ فاستثمروا تجارتهم مع جنوب الصحراء لنقل منتجوهم الفكري والثقافي، وحملوا مشعل الرسالة لنشر المذهب الاباضي و الحفاظ عليه حتى وقتنا الحالي.
- و ما توصلنا إليه من نتائج حول الحياة السياسية و الاقتصادية لمدينة وارجلان ما هو إلا بداية أولية في الدراسات التاريخية المتعلقة بجنوب الصحراء فهي بحاجة إلى من يتممها ويتوسع فيها أكثر.
- و في الأخير نتمنى أن نكون قد وفقنا في طرحنا ا للموضوع ، وأسهمنا من خلال هاته الدراسة و لو بالقليل في تسليط الضوء على فترة من فترات تاريخ وارجلان.

الملاحق

ملحق رقم(1): قطع من قشور بيض النعام مثقوبة جمعت من ضواحي وارجلان[1].

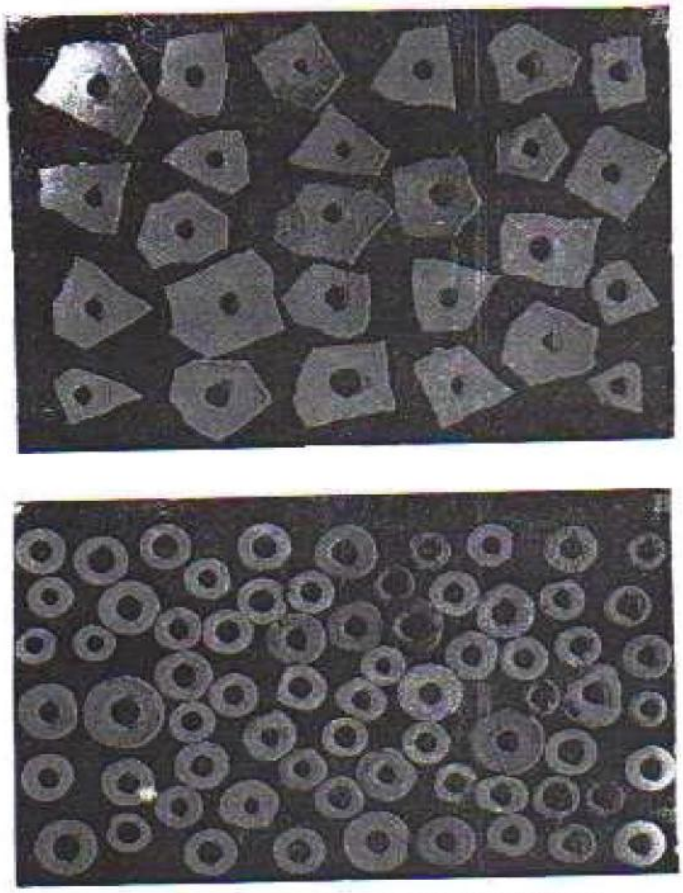

أ: قطع عدة من قشور بيض النعام :
قطع غير منتظمة مثقوبة . ب : قطع العقد في المرحلة الأخيرة .

[1]– احمد ذكار:المرجع السابق، ص 180.

خريطة رقم (1): تمثل الموقع الإقليمي لوارجلان،و المسافات بينها و بين المدن و الحواضر المحيطة بها من جميع الجهات،مع التأكيد أن هذه المسافات تم قياسها بصورة مباشرة دون انكسارات[1].

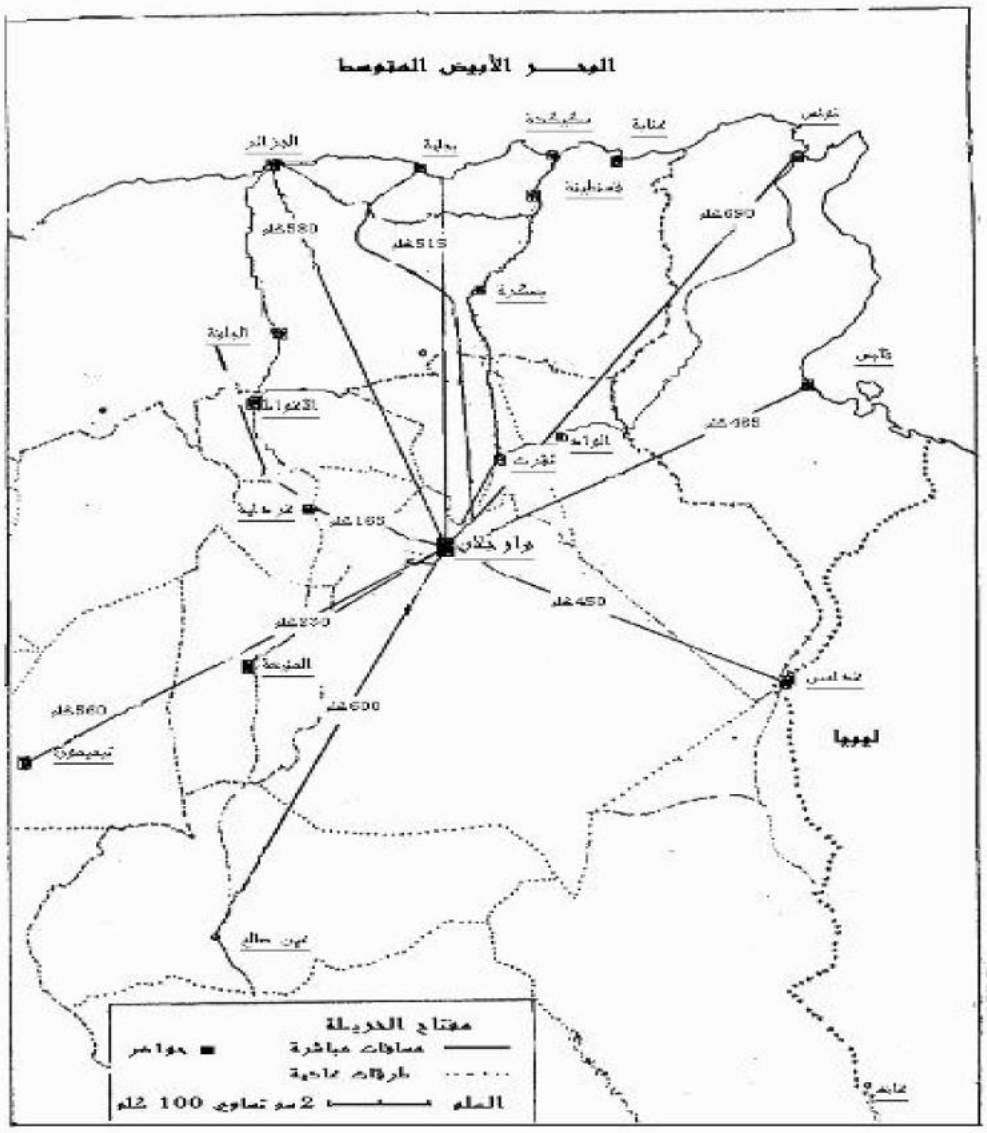

خريطة رقم 01 تمثل الموقع الإقليمي لوارجلان و المسافات الفاصلة بينها وبين بقية المدن و الحواضر
أنظر Madeleine-Rouvillois Brigol. op.cit.p.2.

[1]-انظر;.op.cit.p2 :Madelenine (rouvillois-brigol)،نقلا عن احمد ذكار،المرجع السابق ص 177.

خريطة رقم (2): المسالك التجارية الرابطة بين وارجلان و غيرها[1].

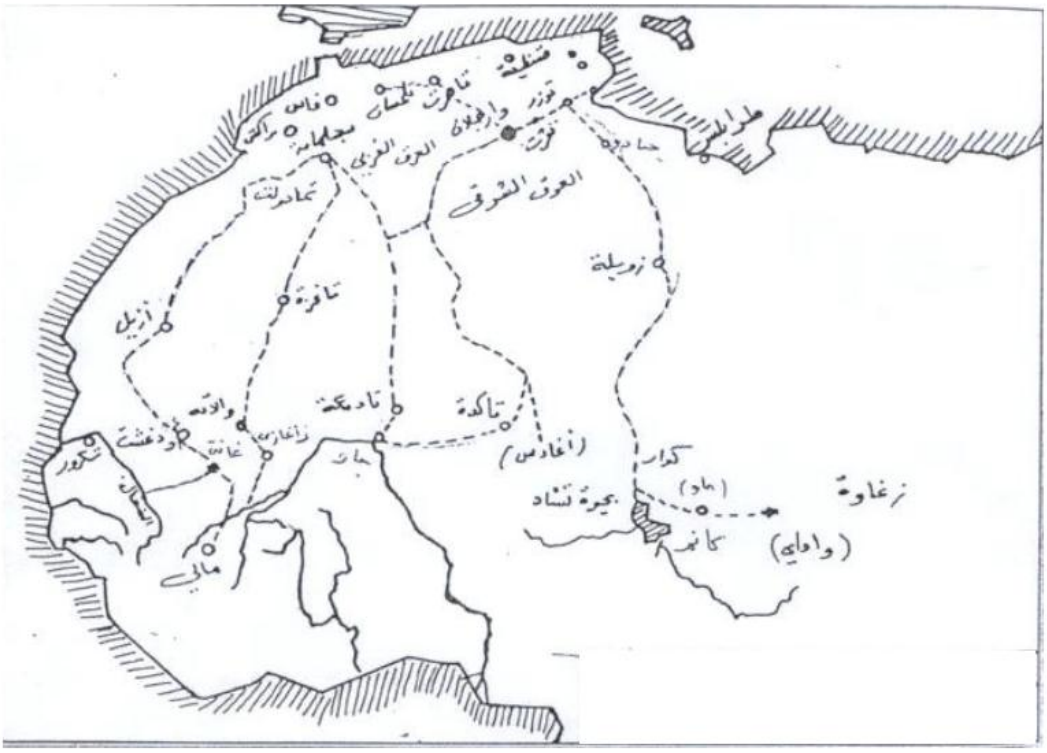

[1]- بوعصبانة:المرجع السابق ،ص 201.

- منظـــر مـــن الســـوق ، ينظـــر الموقـــع الرسمـــي لـــدار الثقافـــة لولايـــة ورقلـــة: http://mculture-ouargla.com

- حي عتيق في مدينـــة ورقلـــة ينظـــر الموقـــع الرسمـــي لـــدار الثقافـــة لولايـــة ورقلـــة: http://mculture-ouargla.com

بعض الأثار الموجودة في ورقلة[1]

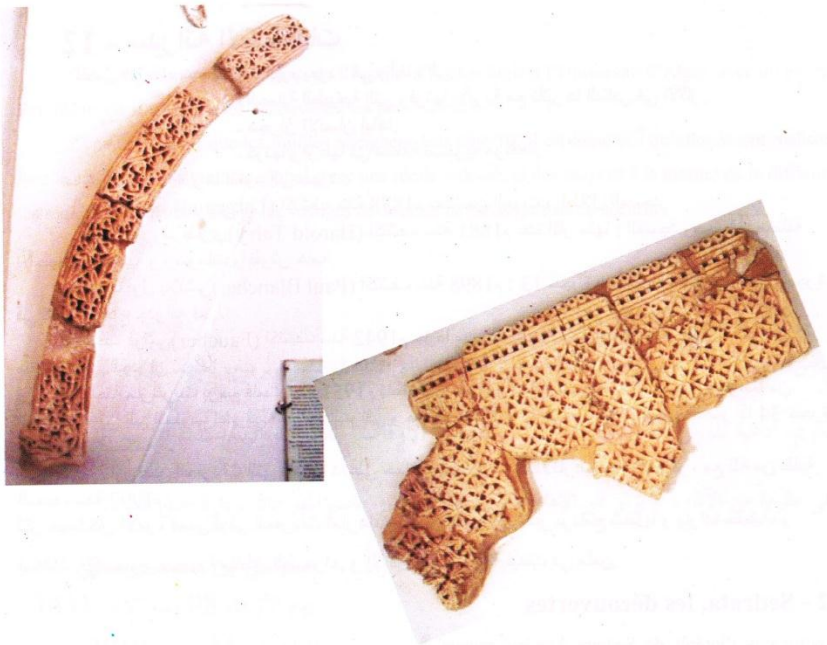

21

[1]- سليمان بومعقل: دفاتر ورقلة المركز الثقافي للوثائق الصحراوية ص 21

المسالك التجارية والمراحل:[1]

ثانيا: خريطة الطرق الصحراوية القديمة[1]:

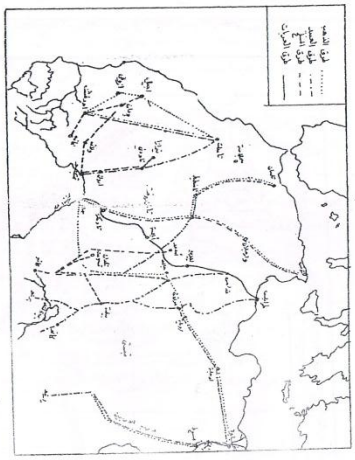

Henri Lhote: Routes antique sahara central, pp 195 (1)

ثالثا: المسالك التجارية (المراحل):

مـن	إلـى	عدد المراحل	المصدر
وارجلان	نفوسة	12 مرحلة	الإدريسي
وارجلان	الجريد	24 مرحلة	الحميري
وارجلان	غدامس	20 مرحلة	الحميري
وارجلان	أودغشت	31 مرحلة	الإدريسي/ الحميري
وارجلان	غانة	30 مرحلة	الإدريسي
وارجلان	المسيلة	12 مرحلة	الإدريسي
وارجلان	تادمكة	50 مرحلة	البكري
وارجلان	قسطيلية	14 مرحلة	البكري
وارجلان	قلعة أبي الطويل	13 مرحلة	البكري
غانة	جوجو	45 مرحلة	الإدريسي
غانة	أودغشت	12 مرحلة	الإدريسي
غانة	أودغشت	15 مرحلة	البكري
غانة	أودغشت	20 مرحلة	الحميري
غانة	ونقارة	8 أيام	الإدريسي
غانة	تادمكت	50 يوما	الحميري
غانة	سجلماسة	60 يوما	الحميري
تادمكة	غدامس	40 يوما	البكري
تادمكة	كوكو (جوجو)	9 أيام	البكري
أودغشت	جرمة	25 مرحلة	الإدريسي
أودغشت	جزيرة أوليل	30 مرحلة	الإدريسي

مـن	إلـى	عدد المراحل	المصدر
أودغشت	سجلماسة	60 يوما	الإدريسي/ البكري
أودغشت	سجلماسة	50 يوما	اليعقـوبي/ ابـن حوقل/ الحميري
نفطة	قابس	3 مراحل	الإدريسي
سفاقس	المهدية	2 مراحل	الإدريسي
المهدية	القيروان	2 مراحل	الإدريسي
قابس	البحر	6 أميال	الإدريسي
قابس	سفاقس	70 ميلا	الإدريسي
الجريد	القيروان	7 أيام	الإدريسي
زغاوة	كوكو	16 يوما	الإدريسي
كوكو	غانة	45 يوما	الإدريسي
تكرور	بريسي	11 يوما	الإدريسي
بريسي	للم	10 أيام	الإدريسي
دو	ملل (بلملم)	4 أيام	الإدريسي
سلي وتكرور	سجلماسة	40 يوما	الإدريسي
انكلاس (كوار)	قصر أمّ عيسى	40 ميلا	الإدريسي
بريسي	أودغشت	12 مرحلة	الحميري
سلي	أوليل (بلد الملح)	16 مرحلة	الحميري
سجلماسة	وادي درعة	5 أيام	الحميري
ولاتن	زغارى	10 أيام	ابن بطوطة

مـن	إلـى	عدد المراحل	المصدر
باغاي	قسنطينة	3 مراحل	الإدريسي
باغاي	طبنة (الزاب)	4 مراحل	الإدريسي
باغاي	قسطيلية	4 مراحل	الإدريسي
الحمة	قسطيلية	1 مرحلة	الإدريسي
الحمة	تقيوس	20 مرحلة	الإدريسي
قفصة	تقيوس	1 مرحلة	الإدريسي
قفصة	نفطة	2 مرحلة	الإدريسي
قفصة	نفزاوة	2 أيام (يومان)	الإدريسي
قفصة	جبل نفوسة	6 أيام	الإدريسي
قفصة	سفاقس	3 أيام	الإدريسي

[1]- سليمان بوعصبانة، المرجع السابق، ص 228

رسـم تخطيطي لمـدينـة وارجـلان من اعـداد الطلبـة

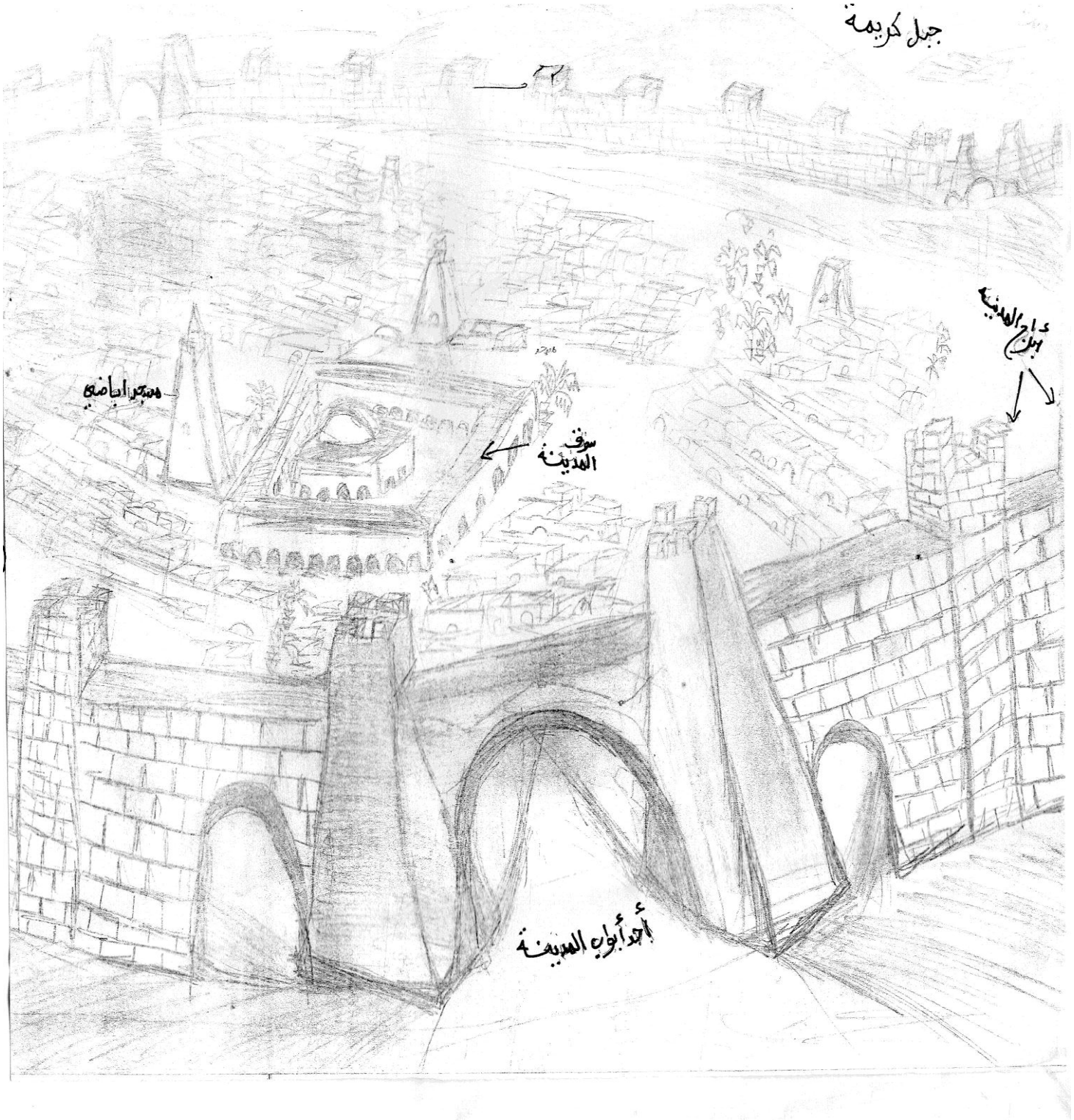

المصادر

والمراجع

الـــمصادر:

1- ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم، الكامل في التاريخ، ج6، دار صادر للطباعة والنشر- بيروت،.1979.

2- ابن الصغير المالكي: أخبار الأئمة الرستميين، تح وتع: محمد ناصر و ابراهيم بحاز،د ت،دط.

3-ابن حوقل النصيبي: صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة للطباعة و النشر، بيروت ،لبنان، د 1996.

4-ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد (808/ 1405م): مقدمة كتاب العبر، تح: احمد جاد، مرا و تق: عبد الباري محمد الطاهر، دار الغد الجديد للنشر و التوزيع ، القاهرة ، مصر، ط01، 2007.

5-ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (681هـ/ 1082م): وفيات الأعيان وأنباء وأبناء الزمان، تح: إحسان عباس، مج 2، دار صادر- بيروت، د ط، د س ط.

6-ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، تح و تع: إسماعيل العربي،منشورات المكتب التجاري، بيروت،لبنان، ط1، 1970.

7- ابن عذارى المراكشي :البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، مج 1تح: ج.س كولان وليفي بروفنسال ، دار الثقافة، بيروت لبنان.

8- أبو العباس الناصري: الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى، دار الكتاب، المغرب، 1954.

9- أبو زكريا يحي:سير الأئمة الرستميين،تح:إسماعيل العربي،ط3،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر 1984.

10- أبو عبيدة البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب، دار الكتاب الإسلامي ت(487ه-1094م)،القاهرة ، دس ط.

11-الإدريسي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني (560هـ/ 1164م)،: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،تح : محمد حاج صادوق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.

12-التيجاني أبو محمد عبد الله بن محمد: رحلة التجاني، تح: حسن عبد الوهاب، المطبعة الرسمية، تونس، 1958.

13-الداعي عماد الدين إدريس:تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب،تح :محمد اليعلاوي،دار الغرب الإسلامي،لبنان،ط 1، 1985.

14-الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب:ج1-ج2، تح: إبراهيم الصلاي، مطبعة البعث، الجزائر،1994.

15-الرقيق القيرواني :تاريخ افريقية و المغرب ،تح وتع:محمد زينهم،دار الفرجاني للنشر والتوزيع،ط1 1994.

16-السلفي: تراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر للسلفي، تح: إحسان عباس، ط1، دار الثقافة ، بيروت، لبنان، 1963.

17-الشماخي احمد بن سعيد بن عبد الواحد (ت 928ه):السير، دار الأبحاث للترجمة و النشر و التوزيع، تلمسان ، الجزائر، ط1، 2011.

18-القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الانشا،ج5، عرض و تحليل عبد اللطيف حمزة، المؤسسة العامة للطباعة و النشر،القاهرة .

19-لحميري محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت في منتصف القرن 8): الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، لبنان، ط 01، س ط: 1975.

20-الماوردي : الأحكام السلطانية و الولايات الدينية ، دار ابن قتيبة الكويت، ط1، 1989.

21-محمد البغطوري: سير مشايخ نفوسة،ج1, تح: توفيق عياد الشقروني، مؤسسة تاوالت الثقافية, (د ط) ، 2009.

22-مؤلف مجهول (من ق 6ه/ 12م): كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر و تعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية – الدار البيضاء – المغرب، د ت، س ط: 1985.

23- مؤلف مجهول: مفاخر البربر، دراسة و تح :عبد القادر بوباية، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر،ط1، 2004.

24-الوزان حسن بن محمد (ت 957هـ/ 1550م): وصف إفريقيا، ج1 تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان ط2، 1993 .

25-الوسياني:سير مشائخ المغرب،ج2، تح:إسماعيل عربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.

المراجع:

1. إبراهيم أعزام: غصن البان في تاريخ وارجلان،تح:إبراهيم بحاز و سليمان بومعقل، ط1، العالمية للنشر، غرداية الجزائر،2013.
2. إبراهيم بحاز : الدولة الرستمية.دراسة في الأوضاع الاقتصادية و الحياة الفكرية،مطبعة لافوميك الجزائر سنة 1985م.
3. أبوا القاسم سعد الله:أبحاث و ا راء في تاريخ الجزائر،ج2،دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان ،1985 .
4. التيجاني :رحلة التيجاني، تصحيح حسن عبد الوهاب، المطبعة الرسمية تونس،1958
5. حسن حافظي العلوي :سجلماسة و إقليمها ،وزارة الأوقاف و الشؤون الدينية ، المغرب ،1997.

6. زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الاستقلال،ج1،دار المعارف، الإسكندرية، دت.

7. سليمان بوعصبانة: معالم الحضارة الإسلامية بوارجلان,(من سقوط الدولة الرستمية إلى خراب سدراتة)،دار نزهة الألباب، غرداية.

8. شارل أندري جوليان:تاريخ إفريقيا الشمالية من الفتح الإسلامي إلى سنة1830،تح:محمد مزالي،البشير بن سلامة،ج2،الدار التونسية للنشر،تونس،1985م.

9. صالح معيوف مفتاح: جبل نفوسة و علاقته بالدولة الرستمية(من منتصف القرن الثاني الهجري إلى أواخر القرن الثالث الهجري)،مؤسسة تاوالت الثقافية ،2006.

10. الطاهر طويل :المدينة الإسلامية و تطورها في المغرب الأوسط،المتصدر للنشر ، الجزائر ،2011.

11. عبد الرحمن الجيلالي:تاريخ الجزائر العام، ج 2، دار الثقافة، بيروت لبنان،1980.

12. عبد العزيز سالم:تاريخ المغرب الكبير، ج2، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.1981.

13. عبد العزيز فيلالي:العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس و دول المغرب،ط2،دار الفجر للنشر و التوزيع،القاهرة مصر.2001.

14. عبد القادر علي حليمي: جغرافية الجزائر (دراسة طبيعية، بشرية، اقتصادية).مطبعة الإنشاء، دمشق، سوريا.1986.

15. عبد الله محمد العياشي: الرحلة العياشية(1661-1669) تح: سعيد الفضلي و سليمان القريشي، مج 1، دار السريدي للنشر، أبوا ظبي، 2006 .

16. عدون جهلان: الفكر السياسي عند الاباضية من خلال أراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيش 1236-1332ه/1818م-1914م،مكتبة الضامري للنشر و التوزيع،السيب سلطنة عمان. (د ط)،(د س) .

17. عصمت عبد اللطيف دندش: أضواء جديدة على المرابطين،دار الغرب الإسلامي،لبنان،ط 1، 1991.

18. علي معمر يحي: الاباضية في موكب التاريخ الاباضية في الجزائر ج2،(د ط),(د س).

19. عمرو خليفة النامي: دراسات عن الاباضية، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،لبنان .2007

20. عوض خليفات :التنظيمات السياسية و الإدارية عند الاباضية في مرحلة الكتمان نظرة خاصة إلى بلاد المغرب، وزارة العدل و الأوقاف، سلطنة عمان،(دت)، (دط).

21. محمد الساسي العوامر و الجيلاني بن إبراهيم العوامر: الصروف في تاريخ صحراء وسوف،الابيار،الجزائر.2007.

22. محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير.مؤسسة تاوالت الثقافية،(د ط)،2010.

23. محمد كمال الدين : أصول الحسبة ي الإسلام ، دار الهداية ، ط1، 1986.

24. محمود إسماعيل عبد الرزاق :الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع هجري, ط2، دار الثقافة المغرب، 1985م.

25. محمود شيت خطاب : قادة فتح المغرب العربي،ج1،دار الفكر للطباعة و النشر،ط 7 ،1984م .

26. مسعود مزهودي: الاباضية في المغرب الأوسط,نشر جمعية التراث,ا المطبعة العربية القرارة،الجزائر ،1996.

27. مسعود مزهودي،جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام حتى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب(21-442ه/642-1053م)،مؤسسة تاوالت الثقافية،2003

28. يحي بوعزيز:ثورات الجزائريين القرنين التاسع عشر و العشرين،دار البعث،قسنطينة،1400ه/1980م.

29. يوسف عبد الكريم جودت :العلاقات الخارجية للدولة الرستمية،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر 1405ه_1984.

30. يوسف عبد المجيد فايد: جغرافية المناخ و النبات، دار النهضة العربية، د ط، دس.

- **المراجع بالاجنبية:**

31- J.Lethielleux, ouaregla cité saharienne, librairie orientaliste Paul geuthner, paris, 1984. largeau (v) ; le pays de rirha ouargla.paris.1879.

32- largeau (v) ; le pays de rirha ouargla.paris.1879.

3 المجلات و الدوريات:

1. بوقاعدة البشير:المخطوط الجزائري و دوره في الكتابة التاريخية ، غصن البان في تاريخ وارجلان نموذجا ، مجلة رفوف ، جامعة ادرار، العدد 3 ،2013

2. خالد احمد صالح:الاباضية تعاليمهم و انتشارهم في المغرب العربي،مجلة جامعة الانبار للعلوم الإنسانية.عدد.1.2011.ص- ص 126-127.

3. عمار غرايسية : من الأدوار الحضارية للمدن الصحراوية،وارجلان نموذجا،مجلة الواحات للبحوث و الدراسات،العدد 15، سنة 2011

4. محمد البشير شنيتي : التوسع الروماني نحو الجنوب الجزائري,مجلة الأصالة العدد 14، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر 1977.

4 المعاجم:

1. ابن منظور.لسان العرب.نسقه و علق عليه ووضع فهارسه:علي شيري,دار إحياء التراث العربي,مج 4.

2. بحاز و آخرون :معجم أعلام الاباضية ،ج2،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،لبنان،ط2

3. المعجم الوسيط , مكتبة الشروق الدولية، ط 4 ، 2004 .

5 الرسائل الجامعية:

1. احمد ذكار: حاضرو وارجلان و علاقتها التجارية بالسودان الغربي، (1000ه/1991م)إلى (1301ه/1883م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإفريقي الحديث و المعاصر، إشراف محمد حوتية، الجامعة الإفريقية العقيد احمد دراية،ادرار،2010.
2. إلياس حاج عيسى:مدينة وارجلان دراسة في النشاط الاقتصادي و الحياة الفكرية,رسالة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الإسلامي،جامعة الجزائر.2009.
3. عمار غرايسية : المدينة الدولة في المغرب الأوسط ورجلان نموذجا، رسالة ماجستير قسم التاريخ،جامعة الآداب و العلوم الإنسانية،جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية،قسنطينة الجزائر 2008.

الفهرس:

مقدمة:

الفصل التمهيدي:

- أصل التسمية.....02
- **الدراسة الطبيعية:**

أ_ الموقع الجغرافي.....05

ب_ الموارد المائية.....08

ج _ المناخ.....09

- وارجلان عبر التاريخ.....10
- السكان.....11
- العمران.....13

الفصل الثاني: الحياة السياسية لمدينة وارجلان

- وارجلان في العصر القديم.....17
- وارجلان في العصر الإسلامي.....19

أ- وارجلان في العهد الرستمي.....21

ب- وارجلان في العهد الفاطمي.....25

ت- وارجلان في العهد الحمّادي.....28

ث- وارجلان في العهد المرابطي.....29

ج- وارجلان في العهد الموّحدي.....30

- **السياسة الداخلية و الخارجية لوارجلان**

- السياسة الداخلية.....31
- السياسة الخارجية.....36
- مدينة وارجلان أيام ثورة مخلد بن كيداد.....39

الفصل الثالث: الحياة الاقتصادية لوارجلان

- **التجارة في مدينة وارجلان**

- التجارةالداخلية.....47
أ- الأسواق و تعاملاتها.....48
ب- الحسبة في أسواق وارجلان.....49
ت- العملة النقدية في وارجلان.....51

- **التجارة الخارجي**

أ- **الطرق التجارية**

- طريق الشرق.....53
- طريق الشمال.....54
- طريق الجنوب.....57
- القوافل التجارية.....60

- **أهم السلع الواردة و الصادرة**

- الواردات.....62
- الصادرات.....64

- **الزراعة و تربية الحيوانات في وارجلان.**

أ- الزراعة.....67

ب- الرعي و تربية الحيوانات.....69
- خاتمة.....72
- الملاحق.....76
- قائمة المصادر و المراجع.....84